الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ

سيرته وتراثه العلميّ

(ت١٢٥٥هـ)

Sheikh Khidr bin Shallal Al-Afkawiy
His Biography and Scholarly Heritage
(D.1255 AH)

السيّد منتظر ضياء عبّاس جعفر النبويّ

Sayyid Muntadhar Diya’a Abbas Ja’afar Al-Nabawi

الملخّص

يُعنى هذا البحث بدراسة حياة الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ النجفيّ، وبيان مسيرته العلميّة التي بدأها في النجف الأشرف إلى أن توفّاه الله تعالى فيها سنة (١٢٥٥هـ).

إنّ مسألة تراجم الأعلام وحياتهم مهمّة جدًّا في التاريخ الإسلاميّ، فدأب الأعلام على كتابة كتب التراجم والمصنّفات، بل ترجم بعضهم لنفسه في كتبه؛ لئلّا يضيع جهده العلميّ في الدرس والتدريس والتأليف في صفحات التاريخ.

ومن علماء السلف الصالح الذين بارك الله لهم في جهودهم وجهادهم هو الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ رحمه الله، عُرف الشيخ العفكاويّ بالزهد والتقوى والعبادة، وكان من أتقى أهل عصره وأبرزهم في الزهد والصلاح والتقوى، وسلامة الباطن، وطهارة في الفكر.

كثيرة هي المحطّات في حياة الشيخ خضر بن شلّال، ولعلّ من أبرزها تصدّيه لصلاة الاستسقاء ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ [القمر: ١١]، وتعيين الفقيه الأعلم بعد وفاة الشيخ موسى كاشف الغطاء.

والملاحظ أنّه قدس سره لم يكتب ترجمة لنفسه إلّا ما كتبه الآخرون عنه، والمترجِم ليس بأعرف من المترجَم، ولهذا غاب الكثير من فصول حياة هذا الشيخ الجليل، ولعلّه كتب شيئًا عن حياته في كتبه المخطوطة.

لم يكن الشيخ خضر بن شلّال من أُسرة علميّة معروفة، ولعلّه هو الأبرز فيها، ولهذا فمن الصعب تحديد فكرة طلب العلم، فمن الذي أشار إلى هذا

الشيخ العظيم لطلب العلم، ليدخل التاريخ بأوسع أبوابه، أم أنّ نفس الشيخ منذ صغره كان محبًّا لطلب العلم؟

ترك آثارًا كثيرة ونفيسة في الفقه، والأُصول، والعقائد، والزيارة، والدعاء، فضلًا عن رسالته العمليّة، ولكن للأسف الشديد لم يرَ النور من تلك الآثار العظيمة إلّا كتاب واحد وهو كتاب (أبواب الجنان).

عاصر الشيخ خضر رحمه الله الفتنة الداخليّة بين الشمرت والزقرت، وأشار إليها وأرّخها في (التحفة الغرويّة)، وهكذا عاصر الفتنة الخارجيّة المتمثّلة بالغزو الوهّابيّ لمدينة النجف الأشرف، وهو من القلّة الذين بقوا للدفاع عن حرم أمير المؤمنين عليه السلام مع شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد العامليّ (صاحب مفتاح) الكرامة، ونُسبت إليه العبارة المشهورة: «**أنت حمّاي الحما وتريدلك حمّاي**».

الكلمات المفتاحيّة: خضر شلّال، العفكاويّ، الحوزة، التحفة الغرويّة.

Abstract

This paper is devoted to studying the life of Sheikh Khidr bin Shallal Al-Afkawiy Al-Najafi, tracing his scholarly journey, which began in the Holy City of Najaf and continued until he passed away there in the year 1255 AH. Biographies (Tarajim) and the lives of prominent figures are of great importance in Islamic history. Scholars have long been attentive in writing biographical dictionaries and compilations; indeed, some even wrote their own biographies within their books so that their scholarly efforts in study, teaching, and writing would not be lost in the pages of history. Among the scholars of the virtuous predecessors (al-Salaf al-Salih)—whose efforts and struggles God blessed—was Sheikh Khidr bin Shallal Al-Afkawiy (may God have mercy on him). Sheikh Al-Afkawiy was known for asceticism (Zuhd), piety, and worship. He was among the most God-fearing people of his era, and the most prominent in righteousness, spiritual integrity, and purity of thought. There are many signs in the life of Sheikh Khidr bin Shallal. Perhaps the most noticeable was his leading of the Prayer for Rain (Salat al-Istisqa), upon which God said: **"So We opened the gates of heaven, with water pouring forth"** [Al-Qamar: 11], and his role in designating the most learned jurist (Al-A'lam) following the death of Sheikh Musa Kashif al-Ghita. It is notable that he did not write a biography for himself, save for what others wrote about him. As a biographer is never as knowledge-

able as the subject themselves, many chapters of this esteemed Sheikh's life remain ambiguous. It is possible, however, that he wrote something concerning his life in his manuscript works. Sheikh Khidr bin Shallal was not from a well-known scholarly family; he was likely the most prominent figure within it. Therefore, it is difficult to identify the origin of his search of knowledge: Who advised this great Sheikh to seek knowledge and enter history through its widest gates, or was the Sheikh himself a lover of knowledge since his childhood? He left behind many valuable works in Jurisprudence (Fiqh), Principles of Jurisprudence (Usul), Theology (Aqaid), Visitation holy shrines (Ziyarah), and Supplication (Dua'a), in addition to his Practical Epistle (Risalah Amaliyah). Unfortunately, only one of these great works has been published, the book Abwab al-Jinan (The Gates of Gardens). Sheikh Khidr lived through the internal conflict between the Shumurt and Zugurt factions, which he documented and recorded in his work, Al-Tuhfa Al-Gharawiyya. He also lived through external conflict, represented by the Wahhabi invasion of the Holy City of Najaf. He was among the few who remained to defend the Sanctuary of the Commander of the Faithful (Imam Ali), alongside the Sheikh of the Sect, Sheikh Ja'far Kashif al-Ghita, and Sayyid Al-Amili (the author of Miftah al-Karama). The famous phrase is attributed to him during this event: "You are the Protector of the Sanctuary, yet You [now] want a protector?" (Addressing Imam Ali).

Keywords: Khidr Shallal, Al-Afkawiy, The Hawza, Al-Tuhfa Al-Gharawiyya.

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

إنّ مدينة النجف الأشرف بتاريخها العريق الممتدّ إلى آلاف السنين، لها مكانة خاصّة في نفوس المسلمين، لا سيّما أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصًا العلماء، فإليها تهفو النفوس، لتنهل من العلوم بجوار باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

بدأ تاريخ الحوزة العلميّة في النجف الأشرف من حين هجرة الشيخ الطوسيّ قدس سره إليها؛ نتيجة للاضطرابات الطائفيّة التي حصلت في بغداد، فوصل إلى النجف الأشرف سنة (٤٤٨هـ) ومنذ ذلك الزمان إلى يوم الناس هذا بدأت الحركة العلميّة في هذه المدينة، فقلّما تجد عالمًا أو متعلّمًا لم ينهل من علماء النجف الأشرف.

وهذه هي سيرة الأعلام منذ القدم، فهم يتركون أوطانهم وأهليهم لتحصيل العلوم، فترى في النجف الأشرف العلماء والطلبة والمتعلّمين من البلدان المختلفة، كلّهم مشتركون في تحصيل العلوم الدينيّة.

ومن بين أُولئك الذين نبذوا ملذّات الدنيا وراء ظهورهم هو الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ، الذي سافر منذ صغره ولعلّه لم يبلغ بعدُ، فترك الأهل والأقارب؛ لتحصيل العلم، فبدأ بخطى صحيحة، فجدّ وحصّل العلوم، حتّى وصل إلى المراتب العليا، فصار من المراجع الكبار في زمنه، والزهّاد الذين

تلهف إليهم النفوس إن احتاجت إلى حاجة، والملجأ الذي يفزع إليه الناس إن داهمهم جلل، فهو العلّامة، المقدّس، المجاهد، الزاهد، الفقيه، المحقّق، التقيّ، الورع، صاحب الكرامات الباهرة في حياته وبعد مماته، ومَن كان يُستسقى الغمام به فيُسقى، ومن أعاظم علماء الطائفة في وقته، صاحب سرّ سيّد الطائفة، ورفيقه في سفره، وهو ما زال في بداية الثلاثين من عمره، ومن أجلّاء تلامذة شيخ الطائفة الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

إنّ دراسة حياة الشيخ خضر بن شلّال مهمّة؛ نتيجة للمواقف العلميّة والعمليّة التي قام بها في حياته التي قضاها في النجف الأشرف، فكانت ولادته في مدينته عفك، ودخل النجف الأشرف، فقضى أغلب حياته التي ناهزت الثمانين سنة في النجف الأشرف، فكان من أزهد أهل زمانه، وأورعهم، وأتقاهم، فضلًا عن نيله أعلى المراتب العلميّة، ومؤلّفاته تشهد بذلك، بالإضافة إلى اطمئنان الناس إليه في تعيين الأعلم.

والسبب في اختيار هذا العنوان هو معرفة حياة هذا الزاهد العظيم بعد إن لم تكن له ترجمة مستقلّة، لأنّ فصول حياته ذُكرت موزعة في بطون الكتب، فيصعب على الباحث معرفة حياته بكامل جوانبها، فبعد أن كان هذا الشيخ العظيم علمًا من أعلام النجف الأشرف، بل كان معروفًا حتّى بعد وفاته، لم يكد يُعرف من الآخرين لا سيّما من طلبة العلوم الدينيّة في هذه الأزمان، وكأنّه نُسي في صفحات هذين القرنين من الزمن.

اعتمد هذا البحث بالأساس على مصادر تراجم الأعلام المعروفة والمشهورة، فجُمعت المادّة العلميّة الأوّليّة من كتب التراجم، فضلًا عن بعض كتب التاريخ، وهكذا استفدت من البحث الذي كتبه الباحث

(باقر حسن عليوي الشيبانيّ)، إذ هو عبارة عن لقاء بين الباحث والحاجّ خضيّر أبو صبيع الجشعميّ رحمه الله، الذي تبرّع بنقل رفات الشيخ خضر من مدفنه الأوّل إلى ما هو عليه الآن، وتكمن أهمّيّة هذا البحث في أنّ الباحث نقل قصصًا عن الحاجّ خضيّر رحمه الله، وما سمعته أنّ الحاجّ خضيّر تُوفّي قبل سنوات، فكان ما كتبه الباحث المذكور يمثّل مرحلة مهمّة في ترجمة هذا الشيخ العظيم؛ لأنّه يؤرّخ لمرحلة نقل رفات الشيخ رحمه الله من مدفنه إلى مكانه الحاليّ.

من أهمّ المشاكل التي واجهتنا هي قلّة المصادر التي تحدّثت عن حياة الشيخ خضر بن شلّال قبل بزوغ نجمه العلميّ، فلا نعلم بالضبط من هم أساتذة الشيخ في مرحلة المقدّمات والسطوح، والسطوح العليا، وأقصى ما وجدته من أساتذته إنّما هو في المرحلة الأخيرة من مراحل طلب العلم في الحوزة العلميّة، وهي مرحلة البحث الخارج.

وهكذا لا نعلم شيئًا عن حياته في مدينة عفك؛ ولعلّ السبب في ذلك أنّه رحمه الله نشأ في أُسرة غير علميّة، وإنّما بزغت أُسرته ببزوغ الشيخ نفسه؛ من أجل ذلك اقتصرنا في حياته على ما ذكره الأعلام في تراجمهم.

ولكن هذا لم يمنع من أن نستنتج بعض النتائج المخالفة لبعض الترجمات، كولادته، وبعض كراماته التي شكّك فيها بعضهم، ونحو ذلك.

قُسّم البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: سيرته الذاتيّة: تطرّقت فيه إلى العلماء من أقربائه، وأصحابه، وجهاده، إذ بيّنت فيه جهاد الشيخ خضر في التصدّي للغزو الوهّابيّ، وتناولت فيه أيضا وفاته ومدفنه.

المبحث الثاني: كراماته: وتطرّقت فيه إلى الكرامات التي حصلت في حياته، والكرامات التي حصلت بعد وفاته قدس سره.

المبحث الثالث: خصّصته لسيرته العلميّة، فتناولت دراسته الحوزويّة، ومكانته العلميّة، وشيوخه، وتلامذته، ومؤلّفاته، وأقوال العلماء فيه، وبعض آرائه وفتاواه.

المبحث الأوّل

سيرته الذاتيّة

هو الشيخ خضر بن شلّال بن حطّاب بن خدّام بن شيبة بن محمّد العفّاج الشيبانيّ الباهليّ العفكاويّ النجفيّ.

و(شلّال، وحطّاب، وخدّام) بوزن شدّاد من أسماء الأعراب بتلك الديار، وآل خدّام فخذ من آل شيبة، الذين هم من باهلة[1].

أمّا (الشيبانيّ) فنسبة إلى آل شيبة ورئيسهم رسن آل شبيب ونخوتهم (طرفة)، أو (أخوة طرفة)، وهم أهل الثلث مع عفك، وفروعهم: آلبو نصّار، وآلبو راشد، والخشيمات، وآل خدّام، ويرأسهم كاظم الحسّون، وحسّان في أراضي الخمسات وغيرهم[2].

أمّا لقبه (العفكاويّ) فهو نسبة إلى منطقة (عِفَك)، بعين مهملة مكسورة وفاء مفتوحة، وتُسكّن عند النسبة، و (عفك) اسم رجل في الأصل، ولعلّه محمّد العفّاج كما يظهر ذلك من شجرة الأُسرة[3]، لكنّه صار علمًا لبقعة من الأرض، التي تقع بين دجلة والفرات، وهي اليوم قضاء من أقضية العراق،

---

(١) يُنظر: محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت: ج٦، ص٣٢١.

(٢) يُنظر: عبّاس العزّاويّ المحامي، موسوعة عشائر العراق، الدار العربيّة للموسوعات بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م: ج٣، ص١٨٦-١٨٧.

(٣) يُنظر: الوثيقة رقم ١.

وإن كان بعضهم يرجّح أنّ مدينة (عفك) سُمّيت بهذا الاسم قبل مجيء محمّد العفّاج إليها، بل هو اكتسب لقب العفّاج منها.

ولادته

وُلد الشيخ خضر بن شلّال في مدينة (عفك) في حدود سنة (١١٨٠هـ، ١٧٦٦م)[١]، ولم تنقل المصادر تاريخ ولادته بالضبط، والملاحظ أنّ جلّ مَن ترجم للشيخ ذكر أنّه وُلد في حدود سنة (١١٨٠هـ)، وكأنّهم لم يجزموا بذلك، وممّا يؤيّد ذلك أنّ بعض الأعلام لم يذكروا تاريخ ولادته[٢]، والذي ذكروه أنّه رحمه الله تجاوز السبعين، وذكر بعضهم أنّ عمره قارب الثمانين سنة[٣].

هاجر من عفك إلى النجف الأشرف؛ للالتحاق بالحوزة العلميّة في أيّام مرجعيّة السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم رحمه الله (ت١٢١٢هـ)، فدرس فيها، وأكمل العلوم العربيّة، والفقه، والأُصول، والرجال، والعقائد، ثمّ حضر

---

(١) يُنظر: آغا بزرك الطهرانيّ، الكرام البررة، دار إحياء التراث العربيّ، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ: ج١١، ص٤٩٣.

(٢) كالسيّد حسن الصدر في (تكملة أمل الآمل)، دار المؤرّخ العربيّ، تحقيق: د. حسين عليّ محفوظ، وعبد الكريم الدبّاغ، وعدنان الدبّاغ، ج٤، ص١١، والسيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة)، المصدر السابق، ج٦، ص٣٢١، والشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها)، دار الأضواء ط٢، ١٤٣٠هـ، ج٢، ص٢٩٤، وحرز الدين في (معارف الرجال)، نشر: مكتبة آية الله المرعشيّ، ١٤٠٥هـ، ج١، ص٢٩٥، والشيخ محمّد أمين الإماميّ الخوئيّ في (مرآة الشرق)، الناشر: مكتبة آية الله السيّد المرعشيّ، ط١، ١٤٢٧هـ، ج١، ص٧٠١.

(٣) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٧.

الدروس العالية على مشايخ عصره[1]، وسيأتي ذكرهم.

لم تذكر المصادر متى خرج من مدينة عفك، ومتى دخل إلى النجف الأشرف، وأقصى ما وجدته أنّه خرج من عفك إلى النجف الأشرف؛ لتحصيل العلوم الدينيّة منذ صباه.

ولكن ذكر الشيخ عليّ كاشف الغطاء في (الحصون المنيعة) ما لفظه: «هاجر الشيخ خضر بن شلّال من مسقط رأسه المسمّى اليوم سنة ١٣٢٥هـ، بعفك من عشيرته آل شيبة إلى النجف الأشرف»[2]، وهذا خطأ بيّن، إذ إنّ ولادة الشيخ المترجم كانت بحدود (١١٨٠هـ)، فكيف هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٣٢٥هـ).

ثمّ إنّ المترجم رحمه الله كان من تلامذة السيّد بحر العلوم قدس سره (ت١٢١٢هـ)، بل صاحب سرّه، ومرافقه في سفره.

قال الشيخ حرز الدين في (المعارف): «وكان قدس سره ممّن صحب السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم الطباطبائيّ النجفيّ في بدء أمره، ويُروى أنّه من الصفوة الذين سافروا مع السيّد إلى سامرّاء للزيارة»[3]، والظاهر من الضمير في قوله «بدء أمره» أنّه راجع إلى السيّد بحر العلوم رحمه الله، أي أنّ الشيخ خضر بن شلّال صحب السيّد رحمه الله في بداية تسنّمه لمقام المرجعيّة العليا في النجف الأشرف.

ومن الملاحظ أنّ السيّد بحر العلوم تسنّم المرجعيّة العليا في النجف

---

(١) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ٤٩٤.

(٢) الشيخ عليّ كاشف الغطاء، الحصون المنيعة: ١٠/ ٢٢٥.

(٣) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٥.

الأشرف في سنة (١١٩٥هـ) فيكون الشيخ خضر قد صحبه في هذه السنة، أو بعدها بقليل، وهذا معناه أنّ عمره ﷾ كان خمس عشرة سنة لو فُرض أنّه ﷾ وُلد في (١١٨٠هـ)، بل حتّى لو قلنا إنّه صحبه سنة (١٢٠٠هـ) فيكون عمر الشيخ حينئذ عشرين سنة.

من هنا قد يطرأ الشكّ في تاريخ ولادة الشيخ خضر، إذ كيف يكون بهذا العمر وقد صحب سيّد الطائفة في زمانه، فما هي المؤهّلات لهذه الصحبة؟ وهل كان الشيخ خضر بهذا العمر عالمًا؟

ولهذا نرى أنّ الصحيح أنّ ولادته أسبق من هذا التاريخ، وأنّه دخل إلى النجف ولم يبلغ الحلم، وتدرّج في طلب العلم إلى أن صحب سيّد الطائفة في بداية تسنّمه لمرجعيّة الطائفة، والشاهد على ذلك أنّ بعض مَن ترجم له خمّن عمره بأنّه قارب الثمانين[1]، فإذا كانت وفاته ﷺ سنة (١٢٥٥هـ) فتكون ولادته سنة (١١٧٥هـ) أو أقلّ.

أمّا دخوله إلى النجف الأشرف فهو قبل سنة (١١٩٥هـ)، ولعلّه كان ما بين (١١٨٥-١١٩٠هـ)، والله أعلم.

أُسرته وأقرباؤه

لم يذكر المترجمون أنّ أُسرة الشيخ خضر بن شلّال من الأُسر العلميّة في مدينة عفك، ولعلّ أبرز عالم نشأ في الأُسرة المذكورة هو الشيخ خضر شلّال ﷺ نفسه، وكفاها فخرًا بذلك.

أمّا أعقابه، فقد اتّفق المترجمون على أنّ الشيخ خضر بن شلّال لم يعقّب إلّا

(١) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٧.

بنتًا واحدة، سمّتها بعض الوثائق[1] **(منصورة ابنة الشيخ خضر بن شلّال)**، تزوّجها سادن الروضة الحيدريّة السيّد سلمان الرفيعيّ، و«كانت من الكمال والإيمان بمراتب، وأعقب السيّد سلمان خمسة أولاد: السيّد عبد الرسول، والسيّد مجيد، وكريم، وعزيز، وشريف»[2].

ولكنّ الشيخ جعفر محبوبة ذكر ثلاثة من أولاد السيّد سلمان الرفيعيّ، وهم: السيّد عزيز، والسيّد كريم، والسيّد هاشم[3].

ولا بأس بالإشارة إلى العلماء من أقرباء الشيخ خضر بن شلّال ممّن جاؤوا بعده:

الأوّل: الشيخ موسى ابن الشيخ محمّد بن شلّال، قال جعفر محبوبة: «كان الشيخ موسى بن الشيخ محمّد آل شلّال العفكاويّ برًّا تقيًّا وأديبًا كاملًا، حسن المحاضرة، وهو ابن أخ الشيخ خضر»[4].

الثاني: الشيخ خضر الأشرفيّ المتوفّى حدود (١٣٣٦هـ)، قال الطهرانيّ في (الطبقات): «هو الشيخ خضر بن الشيخ إسماعيل الأشرفيّ المازندرانيّ الشهير بشريعتمدار عالم جليل... إلى أن قال: وكانت والدة المترجم له من أحفاد الفقيه النجفيّ المعروف الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ المتوفّى ١٢٥٥هـ، لذلك سُمّي باسمه»[5].

---

(١) يُنظر: الوثيقة رقم ٢.

(٢) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٨.

(٣) يُنظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الطهرانيّ، المصدر السابق، طبقات أعلام الشيعة: ج١٤، ص٦٩٩.

صحبتــه

ذكر العلّامة الماماقانيّ في ترجمة جدّه عبد الله بن محمّد باقر بن عليّ أكبر بن رضا الماماقانيّ المتوفّى (١٢٤٧هـ)، أنّه كان شديد الصحبة مع الشيخ خضر بن شلّال، قال: «وكان شديد الصداقة مع الشيخ النبيل الشيخ خضر شلّال النجفيّ المعروف الآن مقبرته في النجف الأشرف، وكان كلّ منهما إذا انتقل إلى وطن الآخر للزيارة ينزل عند صاحبه، فكان الجدّ قدس سره عند تشرّفه إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ينزل في دار الشيخ خضر المتصلة بمقبرته المعروفة، وكان الشيخ خضر قدس سره حيثما تشرّف إلى كربلاء ينزل عند الجدّ قدس سره»[١].

وهذا ما أشار إليه أيضًا حرز الدين في (معارف الرجال)، فقال في ترجمة الشيخ عبد الله المامقانيّ الأوّل رحمه الله: «وكان معاصرا للآغا الدربنديّ، صاحب أكسير العبادات المتوفّى سنة ١٢٨٥هـ في إيران، والمدفون في كربلاء مع جملة من فحول العلماء، منهم صاحب الفصول والرياض، والضوابط وقد سبق ذكره، وعاصر الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ صاحب الفصول، والمقدّس الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ النجفيّ المتوفّى سنة ١٢٥٥هـ، وكان بينهم إخاء صادق وتزاور، حيث إنّ هولاء العلماء إذا قدموا النجف لزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام حلّوا ضيوفًا على الشيخ خضر، وبالعكس إنّ الشيخ خضر يحلّ عندهم ضيفًا، هكذا روى معاصرونا الأجلّاء»[٢].

---

(١) عبد الله المامقانيّ، مخزن المعاني في ترجمة المحقّق المامقانيّ، مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٤٣١ه: ص٢٢-٢٣.

(٢) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج٢، ص١٤.

جهـــاده

بـرز الشـيخ المترجـم مـن الأعلام البـارعين، ومـن عـلماء الطائفـة الربّانـيّين، الذيـن يُضـرب بهـم المثل في التقـوى والزهـد والعبـادة واستجابة الدعـاء، ومـع هذا كلّـه فقـد كان الشـيخ خضـر بـن شلّال مـن المجاهديـن إبّـان الغـزو الوهّـابيّ على مدينـة النجـف الأشـرف، ولعلّـه كان سـنة (١٢٢١هـ)، بـل مـن الأعلام القلائـل الذيـن وقفـوا مـع الشـيخ الأكبر كاشـف الغطـاء لصـدّ الغـزو[١].

قـال الشـيخ محمّـد حـسين كاشـف الغطـاء ﵀ في (العبقـات العنبريّـة)[٢]: بلـغ أهـالي النجـف نبـأ توجّـه الوهّابـيّين إليهـم، وأنّهـم قصـدوا مهاجمـة المدينـة المقدّسـة، فـأوّل مـا فعلـه أهـالي النجـف أنّهـم نقلـوا خزانـة أمير المؤمـنين ﵇ إلى بغـداد خوفًـا عليهـا مـن النهـب كما نُهبـت خزانـة الحـرم النبـويّ، ثـمّ أخـذوا بالاسـتعداد لـه، وكان المدافـع الشـيخ جعفـر بـن خضـر الجناجـيّ صاحـب كتـاب (كشـف الغطـاء)، المتـوفّى سـنة (١٢٢٧هـ،١٨١٣م)، وسـاعده بعـض العـلماء، فأخـذ يجمـع مـا يحتـاج إليـه في الدفـاع، فما كان إلّا أيّـام حتّـى ورد الوهّـابيّ بجنـوده، ونـازل النجـف لـيلًا، وبـات تلـك الليلـة، وعـزم على أن يهجـم على البلـدة نهـارًا، وكان الشـيخ جعفـر قـد أغلـق الأبـواب، وجعـل خلفهـا الصخـور والأحجـار، وكانـت الأبـواب يومئـذ صـغيرة، وعيّن لـكل بـاب عـدّة

(١) يُنظـر: محمّـد عليّ التميمـيّ، مشـهد الإمـام، انتشـارات المكتبـة الحيدريّـة، ط١، ١٤٣١: ج١، ص١٦١.

(٢) يُنظـر: محمّـد حـسين كاشـف الغطـاء، المصـدر السـابق، العبقـات العنبريّـة: ص١١٠ ومـا بعدهـا.

من المقاتلين، وأحاط باقي المقاتلين بالسور من داخل البلدة، وكان السور يومئذ واهي بين كلّ أربعين أو خمسين ذراعًا منه قولة (حصّار)، وكان قد وضع في كلّ قولة ثلّة من أهل العلم شاكين، فكان جميع ما في البلدة من المقاتلين لا يزيدون على المائتين؛ لأن أغلب الأهالي خرجوا هاربين حينما بلغ سمعهم توجّه العدو، واستجاروا بعشائر العراق، فلم يبقَ مع الشيخ جعفر إلّا قلّة من مشاهير العلماء كالشيخ حسين نجف، والشيخ خضر بن شلّال، والشيخ مهديّ ملّا كتاب، والسيّد جواد صاحب (مفتاح الكرامة)، وغيرهم من المشايخ الأغيار، ثمّ إنّ الشيخ وأصحابه وطّنوا أنفسهم على الموت لقلّتهم وكثرة عدوّهم. أمّا ابن سعود فقد بات تلك الليلة بجنده خارج البلدة، وما أصبح الصباح إلّا وقد انجلوا عن البلدة المشرّفة ولم يبقَ منهم أحد.

وفاته ومدفنه

تُوفّي الشيخ خضر بن شلّال في النجف الأشرف سنة (١٢٥٥هـ) عن عمر قارب الثمانين عامًا، قضاها في طلب العلم، ودُفن في مقبرته التي أعدّها لنفسه بداره في محلّة العمارة، ولكنّ مقبرته بحدودها منفصلة عن داره التي بيعت بعد وفاته[١]، ورُسم على بقعته الميمونة تاريخ وفاته، ولم يجز الدفن معه إلّا لزوج ابنته السيّد سلمان الرفيعيّ سادن الروضة الحيدريّة.

ولمقبرته شبّاك حديد فوقه صخرة، كُتب عليها اسمه، وسنة وفاته، وبيت شعر في مدحه.

(١) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، مراقد المعارف: ج١، ص٢٧٧.

هـو الخِضْرُ في فيـهِ مـاءُ الحيـاةِ وفي فضـلِهِ تشهدُ الكائنـات
فكـم مـن سجايـا لـه صـالحات لحشر الـورى في الملا بـاقيـات[1]

رثاه العلّامة الشيخ محمّد طاهر السَّماويّ رحمه الله في (عنوان الشرف) فقال:

وشيخنا الخضر بن شلّال الأبر أشـهـر أهـل الـزهـد في بـحـرٍ وبـر
مرقـده في روضـةٍ بالمنـزل تاريخـه (أظلم أُفق الأمـل[2])[3]

لـه مرقـد ظاهـر مشـهور يُـزار معـروف[4] ويُـتبرّك بـه، يقـع عنـد ابتـداء شـارع الـسلام مقابـل مدرسـة الحاجّ ميرزا حسين الخليليّ الكبيرة، يقـرأ لـه الفاتحـة كلّ مَـن مـرّ على مقبرتـه، وقـد شـاع في النـاس أنّ قـراءة الفاتحـة عنـد قبره أو قـراءة شـيء مـن القـرآن الكريـم وإهدائهـا لـه مجرّبـة لقضـاء الحوائـج المتعسّرة[5].

قـال العلّامـة الطهـرانيّ: «ولا تـزال مقبرتـه مـن ذلـك الحين حتّـى الآن مـزارًا مشـهورًا، يُقصـد للـتبرّك وقـراءة الفاتحـة، وهـو مجـرّب النـذر، فقـراءة الفاتحـة لـه والإضـاءة على قبره مجرّبـة لقضـاء الحوائـج، ومـن تعسّـر عليـه أمـر قصـده، ونـذر

(١) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، مراقد المعارف: ج١، ص٢٧٦.
(٢) الظاهـر أنّـه بعـد حسـاب الجمـل يكـون تاريـخ وفاته التي أرّخهـا السَّماويّ هـو (١٢٥٤هـ)، وهـذا مـا هـو موجـود في هامـش الكتـاب، مـع أنّ المعـروف أنّـه تُـوفّي سـنة (١٢٥٥هـ).
(٣) يُنظـر: محمّـد طاهـر السَّماويّ، عنـوان الشرف في وشي النجـف، مطبعـة الغـريّ النجـف، ط١: ص٩١.
(٤) يُنظر: حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١٤.
(٥) يُنظـر: الطهـرانيّ، المصـدر السـابق، الكـرام البررة: ج١١، ص٤٩٦، محمّـد صـادق بحـر العلـوم، وفيـات الأعلام، تحقيـق: مركـز إحيـاء التراث التابـع للعتبـة العبّاسيّة المقدّسـة، ط١، ١٤٣٨هـ: ج١، ص٢٩٩.

لـه شـيئًا مـن القـرآن أو غيره، سرعـان مـا يسـهل أمـره وتُقضـى حاجتـه، وموضـع قبره في محلّـة العمارة مقابـل شـارع السـلام، وشـذّ أن يمـرّ عليـه أحـد فلا يقـف عنـده لقـراءة الفاتحـة، ولا سـيّما الخـواصّ والعـلماء والصلحـاء»[1].

ولكـن في عـام (١٤١٠هـ)، الموافـق (١٩٨٩م)، هدّمـت الحكومـة الصدّاميّـة الظالمـة الـقبر الشـريف[2]، بزعـم توسـيع البلـد، وتوسّـع المنطقـة المجـاورة للصحـن الحيـدريّ الشـريف، وبنـاء مدينـة للزائريـن، وقـد شـملت التوسـعة قبر الشـيخ خضـر بـن شلّال ﵀، وأصبـح القـرار بـأن يُنقـل رفـات الشـيخ ومـن معـه مـن العـلماء والسـادة الكـرام إلى مرقـده الحاليّ في مـقبرة وادي السـلام في الشـارع المؤدّي إلى مدينـة كـربلاء المجـاور لمحطّـة تعبئـة الوقـود.

والـذي تبرّع بنقـل رفات الشـيخ الحاجّ «خضيّر عليوي أبو صبيع الجشـعميّ ﵀»، وتبرّع أيضًـا بالمقبرة التي هـو فيهـا الآن وتشـييد المرقـد المسـلّح البالغـة مسـاحته (٥٠٠م٢)، وقـد بُنيـت على المرقـد قبّـة، ولكـن أثنـاء انتفاضـة عـام (١٩٩١م) أصبـح المرقـد عرضـة للانهيـار.

قـال الحاجّ خـضيّر عليـوي أبـو صبيـع ﵀ المتـوفّى سـنة (٢٠١٥م): «في عـام ١٩٨٩م، ١٤١٠هـ ذهبـت أنـا وولـدي يـاس مصادفـة؛ لكـي أطلعـه على موقـع بيتي السـابق في عكـد السـلام بمحلّـة العمارة، فوصلنـا، وإذا بالبيـت قـد شـمله الإخلاء، وهنـا صـار أمامـي مرقد الشـيخ خضـر شلّال، وكان بالقرب منّي المهنـدس المختصّ بـإخلاء تلـك المنطقـة مـن الأبنيـة، فسـألته: هـل أنّ المرقـد مشـمول بـالإخلاء؟

---

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٦.

(٢) يُنظـر: محمّـد هـادي الأمينـيّ، المصـدر السـابق، معجـم رجـال الفكـر والأدب: ج٢، ص٧٥١.

فأجاب: نعم، فبادرت مباشرة فجلبت فتوى من السيّد الخوئيّ ﷺ بالموافقة على نقل الرفات وهي محفوظة لديه لحدّ الآن وفي عصر ذلك اليوم رافقني أولادي الستّة: ياس، وحسن، وعبّاس، وكرار، ومحسن، وضرغام، ومعهم الحفّار خليل الملقّب بأبي حالوب، وإبراهيم الهنديّ الخيّاط، والحاجّ ياسين شاكر، وعند فتح القبر وجدنا العظام سالمة من كلّ شيء، ووجدنا على عظام الوجه شعر اللحية والشيب محنّى ولم يزل عن العظام، فهذه كرامة تُضاف إلى كرامات الشيخ»[1].

ثمّ يقول: «بعدها وضعنا العظام في الكفن، ووضعناه في تابوت، وقد هيّأت مسبقًا المكان الذي سوف يُدفن فيه، فقد شُيّع الجثمان الشريف إلى مرقده الحاليّ، والذي تبلغ مساحته ٥٠٠م٢، وأطلقنا عليه اسم (بقعة العلماء)؛ لدفن العديد من العلماء فيه مع الشيخ خضر شلّال، أمثال: الشيخ محمّد حسن آل ياسين، والشيخ باقر آل ياسين، والشيخ عبد الحسين آل ياسين، والشيخ محمّد رضا آل ياسين، والشيخ مرتضى آل ياسين، والشيخ راضي آل ياسين، والأُستاذ الدكتور عزّ الدين آل ياسين، والسيّد حمّودي الصرّاف عالم الرميثة»[2].

ينقل الشيخ الحاجّ خضيّر عليوي ﷺ كرامة حصلت عند نقل الرفات الشريف للشيخ خضر بن شلّال والسيّد حمّودي الصرّاف، فقال: «نقلت بعده رفات المرحوم السيّد حمّودي الصرّاف وهو من أهالي النجف، وعالم الرميثة الذي شارك الشيخ خوّام العبد العبّاس الفرهود بثورته في الرميثة ضدّ وزارة ياسين الهاشميّ عام ١٩٣٥م، وقد ارتدى كفن الشهادة.

---

(١) باقر حسن عليوي الشيبانيّ، العلّامة الزاهد خضر شلّال للباحث نسخة منه في مكتبة الإمام الحكيم ﷺ العامّة: ص١٦.

(٢) المصدر نفسه.

وعند إخراج الجثمان فاحت منه رائحة طيّبة من المسك، وعندما جئت بالجثمان ووضعته بجوار جثمان الشيخ خضر بن شلّال قلت مع نفسي مخاطبًا الشيخ خضر بن شلّال: جئت لك اليوم بأنيس تتحدّث معه، ففي اليوم الثاني جاءني ابن السيّد حمّودي وهو السيّد ماجد يقول: بأنّني في عالم الرؤيا وجدت الشيخ خضر شلّال ووالدي يتحدّثان فيما بينهم، وكان ذلك تأكيدًا لما قلته للشيخ عند دفن السيّد الصرّاف»[1].

وينقل أيضًا بعض الكرامات الأُخرى منها: أنّ أولاد الشيخ خضيّر عليوي يشعلون الشموع يوميًّا عند المغرب، وعندما يخرجون فجرًا ويمرّون بالمرقد يجدون الشموع متوهّجة ولم تنطفئ[2].

وقد سمعت هذه الكرامة من الحاجّ عبّاس خضيّر عليوي أيضًا.

(١) باقر حسن عليوي الشيبانيّ، العلّامة الزاهد خضر شلّال للباحث نسخة منه في مكتبة الإمام الحكيم رحمه الله العامّة: ص١٧.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه.

المبحث الثاني

كراماتــه

تحدّث الأعلام عن كرامات العلماء الأفاضل، ونقلوا القصص، وألّفوا الكتب في ذلك، ومن بين هؤلاء العالم الزاهد الشيخ خضر بن شلّال، فتُنسب إليه الكرامات والمقامات التي تدلّ على مكانة قدسيّة لا يصل إليها إلّا الخواصّ من الأفراد، ويمكن إجمال الكرامات المنقولة إلى قسمين: كرامات منقولة في حياته، وكرامات منقولة بعد مماته رحمه الله:

أمّا كراماته قدس سره في حياته، فمنها:

الكرامة الأُولى: حادثة الاستسقاء وهي من أشهر كراماته.

وصلاة الاستسقاء عبارة عن ركعتين نافلة كصلاة العيدين، يصلّيها المؤمنون طلبًا للسقيا بعد انقطاع المطر، روى الكلينيّ رحمه الله عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن صلاة الاستسقاء، فقال: مثل صلاة العيدين، يقرأ فيها، ويكبّر فيها كما يقرأ ويكبّر فيها، يخرج الإمام ويبرز إلى مكان نظيف في سكينة ووقار وخشوع ومسكنة، ويبرز معه الناس، فيحمد الله، ويمجّده، ويثني عليه، ويجتهد في الدعاء، ويكثر من التسبيح والتهليل والتكبير، ويصلّي مثل صلاة العيدين ركعتين في دعاء ومسألة واجتهاد، فإذا سلّم الإمام قلب ثوبه وجعل الجانب الذي على المنكب الأيمن على الأيسر،

والـذي على الأيسر على الأيمـن، فـإنّ النبـيّ ﷺ كذلـك صنـع»[1].

وذكـر العلّامـة النـوريّ الـطبرسيّ في (دار الـسلام)، عـن الثقـة الصالـح التقـيّ السـيّد مرتضـى النجفـيّ، قـال: «حبـس الـسماء قطـره في بعـض السـنين، فضـاق الأمـر على النـاس، واشـتدّت الحال بالمـواشي؛ فخـرج الشـيخ للاستسـقاء في جماعـة كـثيرة مـن الرجـال والنسـاء والصبيـان وكنـت معـه، فأتينـا معـه إلى المـقبرة المعروفـة بـوادي الـسلام خـارج النجـف الأشـرف، فـصلّى ودعـا فأمّنّـا وتضـرّعنا، ولما قـرب أوان رجوعنـا إذا بجماعـة مـن العامّـة مـن أهـل بغـداد أتـوا مـن كـربلاء، وفيهـم بعـض القضـاة الكبـار والمفـتين ...، وقـاضي القضـاة الـذي كان مقـيمًا في بغـداد مـن قبـل سـلطان الـروم[2] وقـد عُـزل، وأتـى إلى المشـهد ليـزور ويـودّع ويرجـع، فـلمّا قربـوا مـن المشـهد، وصعـدوا على التـلّ المماسّ بسـور البلـد المشـرف على القبـور، وشـاهدوا الاجـتماع والغوغـاء وأصـوات البـاكين وتضـرّعهم، سـألوا عـن القضيّـة، فـأُخبِروا بسـببه، فوقفـوا مسـتهزئين مسـتنكرين متعجّـبين مـن احـتمال اسـتجابة الدعـاء مـن الروافـض الذيـن عندهـم مـن الأشـرار، الذيـن يسـألون عنهـم في النـار قائـلين: ﴿مـا لَنا لا نَـرى رِجـالًا كُنَّـا نَعُدُّهُـمْ مِـنَ الْأَشْرارِ أَتَّخَذْناهُـمْ سِـخْرِيًّا أَمْ زاغَـتْ عَنْهُـمُ الْأَبْصـارُ﴾.

وقيـل لهـم: إنّ لهـم شـيخًا هـو المقـدّم في السـؤال والدعـاء الـذي يرجـون

---

(١) محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، دار الكتب الإسلاميّة، ط٥، تحقيق: عليّ أكبر غفّاريّ: ج٣، ص٤٦٢، باب صلاة الاستسقاء، ح٢.

(٢) كانـت بغـداد في زمـان الشـيخ خضر بـن شلّال تحـت الاحـتلال العـثمانيّ، ولعـلّ التعـبير عنهـم بالـروم؛ لأجـل امتـداد سـلطانهم إلى بعـض دول أُوربّـا.

بدعائه كشف ما بهم من البؤس والأدواء، فأخذوا يضحكون ويسخرون، ونزل القاضي، وأمر ببسط فراشه، فقعد عليه واشتغل بشرب الغليان وسبّ أهل الإيمان، فاطّلع الشيخ بما هم فيه من الهزء والمسخرة والسبّ، وكان الناس آيسين متوقّعين رجوعه ورجوعهم، فتغيّرت حال الشيخ، وهاج غضبه، وتحرّكت غيرته، ونادى الناس: إلى أين تذهبون وهؤلاء الكلاب والخنازير يستهزئون بنا؟ ولا نرضى بأن نكون ناكسي الرؤوس عندهم فو صاحب هذه القبة الشريفة لا نرجع إلى البلد إلّا أن نستسقي هذه الساعة أو نتفرّق في هذه البراري والقفار، فنموت عن آخرنا، فوقف الناس فأمرهم بكشف الرؤوس فكشفوا، وصرخوا جميعهم صرخة واحدة، فقام فيهم وقال: يا ربّ كنت أستسقي إلى هذه الساعة متضرّعًا مستكينًا، والآن قد اطّلع علينا هؤلاء النصّاب نستسقي مستحقًّا، فو عزّتك لا ندخل البلد إلّا بعد الاستجابة، ولا نرضى بافتضاحنا بينهم في بلادهم، قال: فو الله الذي لا إله إلّا هو! ما تمّ كلامه إلّا وقد ظهر سحاب مقدار الكفّ وما مضت خمس دقائق إلّا وملأ الأُفق، فخرج الودق من خلاله كالميازيب، وأراد الناس أن يتفرّقوا، فمنعهم الشيخ، وقال: لا، حتّى تبتلّوا جميعًا واشتدّ، بحيث لم يقدر القاضي على الركوب، وكان يتعجّب ويقول: استسقى أهل بغداد وكربلاء فما استُجيب لهم، فكيف استُجيب لهؤلاء الروافض؟! فقيل له: إنّك صرت سبب الإجابة بما فعلت بهم من الهزء والسبّ، فأحبّ الاجتماع مع الشيخ، فاجتمع، فقيل: إنّه رجع إلى الحقّ. والله العالم»[1].

والملاحظ في هذه الحادثة أنّ الميرزا النوريّ الطبرسيّ نقلها عن السيّد مرتضى

(١) النوريّ الطبرسيّ، المصدر السابق، دار السلام: ج٢، ص١٠٣-١٠٤.

النجفيّ الثقة الصالح، الذي كان معاصرًا لهذه الحادثة، إذ قال: «**وكنت معه**»، فلا مجال للتشكيك في هذه الحادثة.

ثمّ الظاهر أنّ الشيخ خضر لم يستسقِ مرّة واحدة، وإنّما صدر منه الاستسقاء مرّات عدّة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «يا ربّ كنت استسقي إلى هذه الساعة متضرّعًا مسكينًا، والآن قد اطّلع علينا هؤلاء...»، وهذا ما أشار إليه الشيخ حرز الدين في (مراقد المعارف)، حيث قال: «كان الشيخ خضر من العلماء العاملين العبّاد، والفقهاء الأُمناء الورعين الزهّاد، الذين يُستسقى بهم وبدعواتهم الغمام إذا منعت السماء قطرها، كما وقع ذلك للشيخ مرارًا في النجف الأشرف»[1].

ومن الواضح والمعروف -كما عرفت- أنّ الذي يتصدّى لصلاة الاستسقاء ينبغي أن يكون عالمًا زاهدًا ورعًا تقيًّا خاشعًا، والشيخ المترجم ممّن اجتمعت فيه هذه الأوصاف، فإذا استسقى سُقي.

الكرامة الثانية: نقل الميرزا النوريّ في (دار السلام) عن الشيخ الأجلّ الأكمل قدوة العلماء الراسخين المولى عليّ بن صالح الطهرانيّ، أنّ الشيخ خضر بن شلّال امتنع من مصاحبة السيّد عبد الغفور اليزديّ إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وما هذا الامتناع إلّا لأنّ السيّد المذكور قد أُصيب بالطاعون وتُوفّي في اليوم التالي.

فقال المولى عليّ بن صالح الطهرانيّ: «كنت في أواخر أيّام الطاعون العامّ الذي شاع في البلاد معتكفًا في المسجد الأعظم بالكوفة مع جماعة من الصلحاء

(١) حرز الدين، المصدر السابق، مراقد المعارف: ج١، ص٢٧٨.

والأخيار، منهم العالم العامل النبيل السيّد عبد الغفور اليزديّ، وكان من أجلّ تلامذة شيخ الأُصوليّين شريف العلماء رحمه الله؛ وله تأليف في الأُصول، فجاء هذا الشيخ رحمه الله [وهو الشيخ خضر العفكاويّ] من النجف عازمًا لزيارة أبي عبد الله عليه السلام، فدخل المسجد ومعه أصحابه، فسأله السيّد المتقدّم أن يذهب به إلى كربلاء فامتنع، فألحّ في السؤال، فأصرّ الشيخ في الإنكار، وتعجّبنا جميعًا من ردّه! وقد عهدنا منه غاية الجهد في البذل والإيثار ومراقبة الأبرار، وسعة الصدر ولين العريكة إلى أن آل الأمر إلى سوء الظنّ وقدحه رحمه الله في أنفسنا، ثمّ فارقنا وركب السفينة، ولم نلبث قليلًا إلّا وابتُلي السيّد بالطاعون، ومات في غده، وظهر لنا جميعًا أنّه لم يكن امتناع الشيخ عن مصاحبته إلّا لذلك»[1].

الكرامة الثالثة: رؤيا القلم.

نقل العلّامة الطهرانيّ في (الكرام البررة) أنّه سمع من بعض معاصريه أنّ الشيخ خضر رحمه الله كتب (التحفة الغرويّة) بالقلم الذي أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فوجده بيده بعد الانتباه.

ثمّ قال الطهرانيّ: «فقلنا أنّ ذلك من كراماته قدس سره»[2].

ولكنّ الصحيح أنّ صاحب الرؤية ليس هو الشيخ خضر بن شلّال، وإنّما بعض أقاربه الذي وصفه في (أبواب الجنان) بأنّه من طلبة العلم والورع، وهذا ما صرّح به في أواخر كتاب الميراث من (التحفة الغرويّة)، حيث قال: «وقد عرض على أمير المؤمنين عليه السلام بعض إخواني -في العالم الذي من رآهم فيه فقد رآهم- جملة من طهارة هذا الشرح، فأعطاني بعد أن نظر فيه بعين الرضا

(١) النوريّ الطبرسيّ، المصدر السابق، دار السلام: ج٢، ص١٠٤.

(٢) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٧.

أشياء نفيسة منها قلم لم يرَ الراؤون مثله»[1].

وأشار إليه أيضًا في نهاية كتابه (أبواب الجنان)، فقال ما لفظه: «ولا فخر بعد كونه ممّن جرت عادته على التفضّل، سيّما مع من يتقرّب إليه بمحمّد وآله الطاهرين، ويلوذ بقبر وليّه أمير المؤمنين عليه السلام، الذي قد عرض عليه بعض إخواننا -في العالم الذي من رآهم عليه السلام فيه فكأنّما رآهم- جملةً من الشرح الذي ختمنا عباداته بهذه التتمّة، فأعطاني بعد أن نظر إليه بعين الرضا أشياء نفيسة، منها: قلم لم يرَ الراؤون مثله، فكتبت به معظم الطهارة والصلاة والزكاة والخمس والصوم والحجّ، الذي قد تمّ بتمام هذه التتمّة المباركة»[2].

وذكر الشيخ حرز الدين في (معارف الرجال) نقلًا عن كتاب (التحفة الغرويّة) ما لفظه: «...ممّا تفضّل به المفضال سيّما على المتوسّلين بمحمّد وآله الطاهرين اللائذين بقبر أمير المؤمنين عليه السلام، خصوصًا بعد كونه بالقلم الشريف، ومساعدة من جُعلت فداه ومن أنصاره»[3].

وكيف كان، فسواء أكان صاحب الرؤية الشيخ خضر عليه السلام، أم أحد أقربائه، إلّا أنّ الثابت أنّه قد أُعطي ذلك القلم من أمير المؤمنين عليه السلام في المنام، فوجده بيده حين الانتباه، ثمّ قال الطهرانيّ: «وببركة ذلك القلم المعطَى له في الرؤيا التي رآها بعض إخوانه سهّل الله عليه تأليف عدّة مجلّدات في الفقه في مدّة غير طويلة»[4].

---

(١) حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١٣، الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج٦، ص٣٢٢.

(٢) خضر بن شلّال، المصدر السابق، أبواب الجنان: ص٨٥٢.

(٣) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٧.

(٤) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٧.

والملاحظ أنّ رؤيا القلم كانت في بداية كتابة كتابه (التحفة الغرويّة)، فحين الشروع ببعض كتاب الطهارة صادفت تلك الرؤيا المباركة، فأُعطي القلم، وأكمل به أغلب كتاب الطهارة والصلاة والزكاة والخمس والصوم والحجّ، ثمّ تمّم كتاب الحجّ بكتاب (أبواب الجنان).

مع أنّه صرّح قدس سره بأنّ الإمام عليه السلام أعطاه أشياء أخرى نفيسة، لا نعلم إن كانت معنويّة أو ماديّة كالقلم بعد أن نظر عليه السلام إلى شيء من كتاب الطهارة من (التحفة الغرويّة) بعين الرضا كما هو مقتضى الرؤيا.

والعجيب من السيّد محسن الأمين قدس سره، بعد أن نقل القصّة، اتّهم صاحب الرؤيا بالكذب، وأنّه استغلّ طيبة وسلامة قلب الشيخ خضر، وأخبره بهذه الرؤيا، ثمّ قال: إنّ الكرامات ليس في إعطاء الأقلام، وإنّما هو في دفع الغائلة، أو الخلاص من الشدّة، أو دفع بليّة[1].

يُلاحظ عليه:

أوّلًا: كيف عرف السيّد الأمين رحمه الله أنّ صاحب الرؤيا كذب على الشيخ، مع أنّ الشيخ خضر بن شلّال قد صدّقه في رؤياه، ودوّن ذلك في أكثر من كتاب من كتبه، فقد ذكر ذلك في كتاب (التحفة الغرويّة)، وكتاب (أبواب الجنان)، فكيف تنطلي على الشيخ خضر هذه الكذبة، بحيث تشيع بين الناس، ويدوّنها في كتبه.

بل الشيخ خضر وصف الرائي بأنّه من أهل العلم والورع، فقال في خطبة كتاب (أبواب الجنان) ما لفظه: «فلمّا تمّ ما اقتضت الإرادة إيراده، إذ هو من لطف الله وكرمه، والاستعانة بإرشاد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقلمه، ومساعدة

---

(١) يُنظر: محسن الأمين، المصدر السابق، أعيان الشيعة: ج٦، ص٣٢١-٣٢٢.

من جُعِلتُ فداه ومن أنصاره، الذي سمعه بعضُ حملة العلم والورع في العالم الذي مَن رآهم فيه فقد رآهم»[1].

مع أنّ هذه القصّة لشهرتها حكى الطهرانيّ في (الكرام البررة) أنّه سمع من بعض المعاصرين أنّ صاحب الرؤيا هو الشيخ خضر بن شلّال نفسه، ولكنّ هذا النقل وإن كان ضعيفًا لما عرفت، إلّا أنّه شاهد على شيوع هذه الرؤيا.

ثانيًا: بعد أن أثبت السيّد الأمين أنّ هذه الرؤيا ليس للشيخ خضر نفسه، وإنّما لأحد أقربائه، قال ما لفظه: «هذا هو الصواب في نقل هذه الكرامة التي لا أصل لها، فالكرامة تكون بإنجاء من غائلة، أو خلاص من شدّة، أو دفع بليّة، أو ما شاكل ذلك، وأمّا في إهداء قلم لعالم ليكتب به، والأقلام ملء الدنيا فلم يقع مثله لنبيّ مرسل»[2].

نقول: ليست الكرامات منحصرة فيما ذكره رحمه الله، فقد تكون الكرامة لأجل قرب الشخص إلى الله سبحانه وتعالى، كما في الشيخ خضر بن شلّال رحمه الله، إذ لم يشكّ أحد بأنّه كان من أزهد الناس وأورعهم في زمانه، فلعلّه لأجل ذلك تشرّف بهذه الرؤيا.

ولا يخفى أنّ الكرامة ليست في القيمة الماديّة للقلم المعطَى حتّى يُقال: إنّ «الأقلام ملء الدنيا»، وإنّما قيمته لأجل أنّه من أمير المؤمنين عليه السلام.

وليس بالضرورة أنّ حصول الكرامة لشخص أن تكون حاصلة سابقة للأنبياء المرسلين عليهم السلام، فمثلًا: ذكر السيّد الأمين رحمه الله في ترجمة الشيخ أحمد

(١) خضر بن شلّال، المصدر السابق، أبواب الجنان: ص٤٧.
(٢) محسن الأمين، المصدر السابق، أعيان الشيعة: ج٦، ص٣٢٢.

بـن محمّـد البحـرانيّ المقشـاعيّ[1] أنّ مـن كراماتـه المشـهورة أنّـه لم يحلـف أحـد عنـده كاذبًـا إلّا أُصيـب على الفـور إمّـا بعمـى أو مـرض أو نحوهمـا، فهـل حدثـت هـذه الكرامـة لنبـيّ مرسّـل؟!

ثالثًـا: ذكـر السـيّد الأمين رحمه الله أنّ صاحـب الرؤيـا لم يجـد القلـم في يـده، وإنّما اختـار قلمًا مـن أجـود الأقلام وأعطـاه للشـيخ خضـر، حتّـى أنّـه قـال: لم يرَ الـراؤون مثلـه، فقـال رحمه الله: «فهـل كان محلّى بالذهـب أو مزيّـن بالياقـوت والزبرجـد..»[2].

فنقـول: هـذا مخالـف تمامًـا لظاهـر عبـارة الشـيخ خضـر رحمه الله في كتابيـه، إذ نقـل القصّـة ودوّنهـا، وأنّ القلـم وُجـد في يـد الرائـي، لا أنّـه اختـاره، فما هـو مسـتند السـيّد الأمين في أنّ الرائـي اختـار قلمًـا وأعطاه للشـيخ خضـر.

ثـمّ حتّـى لـو سـلّمنا بهـذا الاختيـار، فكيـف يقـع الاختيـار على قلـم لم يـرَ الـراؤون مثلـه، فهـل الرائـي صنعـه بكيفيّـة تختلـف عـن أقلام ذلـك الزمـان، حتّـى يقـول الشـيخ خضـر: لم يـرَ الـراؤون مثلـه، أو أنّ الشـيخ خضـر ليـس لديـه خبرة بـأقلام زمانـه، بحيـث إذا رأى قـلمًا يصفـه بأنّـه لم يـرَ الـراؤون مثلـه!

وكيـف مـا كان، فلـم يذكـر السـيّد الأمين رحمه الله مسـتنَدًا ولا شـاهدًا على تكذيبـه لهـذه القصّـة، حتّـى وصـف الشـيخ خضـر رحمه الله بأنّـه قـد انطلـت عليـه هـذه الكذبـة لسلامـة صـدره واعتقـاده[3]، وما موقفـه هذا إلّا اسـتبعادات حدسـيّة لم يثبتها بدليل.

وقـد عرفـت أنّ العلّامـة الطهـرانيّ أقـرّ هـذه القصّـة، بـل قـال: «وببركـة ذلـك القلـم المعطـى لـه في الرؤيـا التـي رآهـا بعـض إخوانـه سـهّل الله عليـه تأليـف عـدّة

---

(١) يُنظر: محسن الأمين، المصدر السابق، أعيان الشيعة: ج٣، ص١٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ج٦، ص٣٢٢.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

مجلّدات في الفقه في مدّة غير طويلة»[1].

الكرامة الرابعة: كان صاحب سرّ السيّد المعظّم محمّد مهديّ بحر العلوم رحمه الله.

ذكر ذلك في كتابه (أبواب الجنان)، فقال ما لفظه: «نعم، لا ريب في أرجحيّة التأخّر عن ضريح الهادي عليه السلام بمقدار ذراع أو أزيد عند زيارته عليه السلام؛ لما بلغنا أنّه عليه السلام مقدّم على الشبّاك المنصوب في عصرنا، ويرشد إليه أنّي قد تشّرفت بزيارته مع جماعة من العلماء والصلحاء، وفيهم من يحمل العلم من العلويّين، فأخبرني بما يقضي بتشويشه واضطرابه من أنّه وقف قريبًا من الضريح المشرّف مستدبرًا للقبلة، وإذا بصوت من الضريح يأمره بالتنحّي عن موقفه، وما ذاك إلّا لذلك»[2].

واستظهر المحدّث النوريّ من القرائن العديدة أنّ المراد من العلويّ الحامل للعلم هو السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم[3].

الكرامة الخامسة: كتاب الزكاة من (التحفة الغرويّة) كان محطّ عناية الإمام الحجّة عليه السلام.

ذكر الشيخ صدر الإسلام أمين الإماميّ الخوئيّ في (مرآة الشرق) ما لفظه: «ووجدت بخطّ الشيخ الثقة الجليل الشيخ حسن القطفان النجفيّ، في ظهر بعض مجلّدات التحفة المذكورة[4]، قال: اجتمعت ليلة مع الشيخ خضر بن شلّال في داره، وقد كتب رحمه الله من كتاب الزكاة من التحفة الغرويّة شطرًا، فجاءنا

---

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٧.

(٢) خضر بن شلّال، المصدر السابق، أبواب الجنان: ص٥٠٣-٥٠٤.

(٣) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٦.

(٤) وقد مرّ أنّ كتاب (التحفة الغرويّة) موجود في مكتبة الشيخ صدر الإسلام الإماميّ الخوئيّ.

منه ببعض أجزائه، فأخذنا في المذاكرة فيه مقدارًا من الزمان، ثمّ اتفّقنا جميعًا بقصور مرتبة هذا الجزء ممّا كتب المترجم في الطهارة والصلاة من الكتاب، وخلّوها ممّا اشتمل عليه كتاب الطهارة والصلاة من الكتاب من التحقيقات والأنظار وبدائع الأفكار، واعتذر المغفور له بأنّ هذا الجزء قد اتّفق كتابته منّي في حال تشتّت الخيال والبال، وتفرّق الحواسّ من جهات شتّى، فاختتم المجلس ورجعت إلى منزلي، فلمّا أخذت مضجعي من تلك الليلة، فرأيت في المنام كأنّي استقرضت من المغفور له -أعني: الشيخ خضر رحمه الله- الأجزاء المذكورة بعينها لأُطالعها، ولكن مكتوب في أوّل كلّ صفحة منها: بسم الله صحّ ما فيه لدى المفتقر إلى الله، وختم الخطّ المذكور بخاتم أيضًا، ولكن ما أقدر أقرأ مضمون الخاتم، وفي عين تلك الحال فكأنّي أُلهمت بأنّه خاتم إمام العصر عليه السلام وخطّه، وقد صحّح ما كتبه، فانتهبت من نومي، وعلمت بأنّ هذا أثر ما ذاكرنا معه في باب هذا الجزء، وعلمت أنّه وإن كان نازل الرتبة من غيره، بحسب الصناعة الفقهيّة، إلّا أنّه مورد تصحيح الإمام عليه السلام، وأنّه مطابق لحكم الله سبحانه وتعالى، ولا يخفى ما فيه من الدلالة الواضحة لعظمة مقام المترجم في الفقه والورع»[1].

وأمّا كرامات الشيخ خضر قدس سره بعد وفاته، فقد ذكر الأعلام المترجمون له كرامات عدّة، منها:

الكرامة الأُولى: ذكر العلّامة الطهرانيّ في (الكرام البررة) عن أُستاذه الحجّة المجاهد شيخ الشريعة الأصفهانيّ رحمه الله المتوفّى سنة (١٣٣٩هـ)، مرّة فقال: كنت في أيّام دراستي ضعيف الحال، وإذا احتجتُ إلى مراجعة كتاب لم أتمكّن من شرائه أذهب إلى شيخنا الأُستاذ الفقيه الأكبر الشيخ محمّد حسين الكاظميّ،

(١) محمّد أمين الخوئيّ، المصدر السابق، مرآة الشرق: ج١، ص٧٠١-٧٠٢.

صاحب (البغية)، فاستعيره منه، فاتّفق مرّة أن احتجت إلى بعض الكتب، وكان الوقت بعد الظهر وفي أيّام الصيف، فقصدت دار الأُستاذ، فلمّا مررت على مقبرة الشيخ خضر فكّرت في الأمر، وخشيت أن يكون الشيخ الأُستاذ نائمًا، فوقفت عند القبر، وقرأت سورة ياسين رجاءَ أن يفوت الوقت قليلًا، ولئلّا يكون رواحي في ذلك الوقت مزعجًا للشيخ، ولمّا انتهيت منها، ذهبت إلى دار الأُستاذ، فطرقت الباب، ولم يجبني أحد، فتأخّرت قليلًا، ثمّ طرقتها من جديد، وإذا بالشيخ الأُستاذ نفسه وبيده الكتاب الذي أنا طالبه، فاستغربت الحالة، وقلت للشيخ: مَن أعلمك أنّي على الباب؟ ومَن قال لك إنّي أُريد هذا الكتاب؟ فقال: كنت نائمًا فرأيت الشيخ خضر العفكاويّ في عالم الرؤيا، فقال لي: سيجيئك فلان، وهو بحاجة إلى الكتاب الكذائي، فقم وهيّئه له، فانتبهت، وذهبت إلى المكتبة، فأحضرت الكتاب.

ولمّا طرقت الباب في المرّة الأُولى كنتُ أُفتّش عنه بين الكتب، فذُهلت ونقلت له ما كان من أمري مع الشيخ أعلى الله مقامه[1].

الكرامة الثانية: أنّ قراءة الفاتحة عند قبره صار سببًا لقضاء حوائج المؤمنين، لا سيّما العلماء وطلبة العلم، حتّى صار ذلك عادة بينهم عندما كان قبره في محلّه الأوّل في محلّة العمارة في شارع السلام.

قال السيّد حسن الصدر في (التكملة): «وقبره مزار معروف»[2].

وقال الشيخ الطهرانيّ: «ولا تزال مقبرته من ذلك الحين حتّى الآن مزارًا مشهورًا، يُقصد للتبرّك وقراءة الفاتحة وهو مجرّب النذر، فقراءة الفاتحة له

(١) يُنظر: الطهراني، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٣٩٥.

(٢) حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١٤.

والإضاءة على قبره مجرّبه لقضاء الحوائج، ومن تعسّر عليه أمر قصده فنذر له شيئًا من قراءة القرآن الكريم أو غيره سرعان ما يسهل أمره، وتُقضى حاجته، وموضع قبره في محلّة العمارة مقابل شارع السلام، وشذّ أن يمرّ عليه أحد فلا يقف عنده لقراءة الفاتحة، ولا سيّما الخواصّ والعلماء والصلحاء»[1].

وهكذا أشار إلى هذه الكرامة الشيخ جعفر آل محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها)[2]، وغيره[3].

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٦.

(٢) يُنظر: جعفر الشيخ باقر محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٦٦.

(٣) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، مراقد المعارف: ج١، ص٢٧٧؛ عليّ محمّد عليّ دخيل، نجفيّات، دار المرتضى بيروت -لبنان، ط٤، ١٤١٤هـ: ص١٦٠.

المبحث الثالث

سيرته العلميّة

دراسته الحوزويّة ومكانته العلميّة

ذكرنا أنّ الشيخ خضر بن شلّال سافر من مدينته عفك إلى النجف الأشرف؛ لتحصيل العلوم الدينيّة، ولم تذكر المصادر سنة دخوله إلى النجف الأشرف، كما أشرنا إليه سابقًا.

ومن الملاحظ أنّ الشيخ المترجم سافر منذ نعومة أظفاره إلى النجف الأشرف؛ ليتدرّج في طلب العلم حتّى يصل إلى مقام التلمذة على يد سيّد الطائفة السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم رحمه الله، بل يصل إلى مقام أنّه صاحب سرّه، «ويُروى أنّه من الصفوة الذين سافروا مع السيّد إلى سامرّاء للزيارة»[1]، هذا كلّه والشيخ خضر بن شلّال لم يدخل في الثلاثين من عمره الشريف.

وبحسب التتبّع القاصر لم تذكر التراجم السبب الداعي للشيخ خضر بن شلّال لطلب العلم، فلا نعلم هل أنّ هناك من أشار على الشيخ خضر بن شلّال للسفر إلى النجف الأشرف لطلب العلم، أم أنّ الشيخ بنفسه ارتأى ذلك؟

لا سيّما وأنّ أُسرة الشيخ خضر بن شلّال لم تكن من الأُسر العلميّة المعروفة؛ ولذا خلت مصادر التراجم من أُسرته.

وعليه، فسواء أكان الشيخ بنفسه هو الذي ارتأى أن يسافر إلى النجف

(١) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ٢٩٥.

لطلب العلم، أو أشار عليه شخص آخر، فعلى كلّ حال يبدو أنّ الشيخ خضر قدس سره كان مؤهّلًا منذ صغره لطلب العلم، لوضوح أنّه لو أشار على نفسه فوجود تلك المؤهّلات يكون واضحًا، أو أنّ الآخرين أشاروا عليه بذلك، فهولاء وجدوا فيه تلك المؤهّلات لهذا أشاروا عليه.

وكيف كان، فقد جدّ في تحصيل العلم، حتّى أكمل العربيّة، والفقه، والأُصول، والرجال، والعقائد وسائر العلوم الأُخرى، ثمّ حضر على أعلام الطائفة في زمنه، كالسيّد محمّد مهديّ بحر العلوم، ثمّ بعد وفاته تتلمذ على يد شيخ الطائفة في زمنه الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفّى سنة (١٢٢٧هـ)، وكان من أجلّاء تلامذته.

وأمّا عمر الشيخ المترجم حين وفاة أُستاذه فهو فكان (٤٧ سنة)، لو فرضنا أنّه وُلد سنة (١١٨٠هـ)، وأمّا إذا رجّحنا أنّه وُلد سنة (١١٧٥هـ)، أو أقلّ فيكون عمر الشيخ حين وفاة أُستاذه (٥٢ سنة).

عاصر من مشاهير عصره الشيخ موسى، والشيخ عليّ أبناء الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ النجفيّ صاحب (الجواهر)، وتردّد أمر الناس في تقليد الشيخ عليّ وصاحب (الجواهر) بعد وفاة الشيخ موسى، فهبّ الناس إلى الشيخ خضر بن شلّال؛ لتمييز الأعلم منهما، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الشيخ خضر بن شلّال كان ثقة أهل زمانه عند الناس: علمائهم، وعوامّهم، بحيث فزعوا إليه لتمييز الأعلم كي يقلّدوه أمر دينهم؛ لأنّه ثقة أهل الدين والناس.

وكان الأرجح في الأعلميّة عند الشيخ خضر بن شلّال هو الشيخ عليّ ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، فاستتبّ إليه أمر التقليد، فقلّده الناس جميعًا،

هذا كان في سنة (١٢٤١هـ)، ثمّ بعد أن دبّ الوباء الجارف في النجف الأشرف، خرج الشيخ عليّ سنة (١٢٤٧هـ) من النجف الأشرف، ولمّا عاد إليها رأى الناس قلّدوا صاحب (الجواهر)، إلّا بعضهم، ثمّ اجتمع الناس على صاحب (الجواهر) في سنة (١٢٥٢هـ) بعد وفاة الشيخ عليّ كاشف الغطاء قدس سره، وهذا كلّه كان في حياة الشيخ خضر بن شلّال رحمه الله [١].

قال الشيخ حرز الدين: «إليه -أي الشيخ عليّ كاشف الغطاء- انتهت الرئاسة الدينيّة، والمرجعيّة العامّة بعد وفاة أخيه الشيخ موسى، وبعد أن تردّد أمر التقليد بين الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر والمترجم له، وفزعت الجماهير المؤمنة إلى العالم الزاهد العابد الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ النجفيّ، حيث كانت النفوس تسكن إليه بلا كلام علمًا وتقىً؛ لتعيين الأعلم والأورع منهما، فعندئذ رجّح ابن شلّال المترجم له على صاحب الجواهر بقولة صريحة، فانعطفت الجماهير إلى دار الشيخ عليّ يحيّونه بالمرجعيّة العامّة»[٢].

بالإضافة إلى ذلك فإنّ الشيخ خضر بن شلّال رحمه الله كان من المراجع الكبار في زمانه، ومن المقلّدين عند العوامّ من الناس، فكتب لهم رسالته العمليّة في عمل المقلّدين، ويظهر أنّه كان لديه كتابان بعنوان الرسالة العمليّة، أوّلها: (جنّة الخلد)، الذي فرغ من كتابته سنة (١٢٤١هـ)، والآخر: رسالة لعمل المقلّدين، يأتي ذكرهما في مؤلّفاته.

شيوخه

أمّا شيوخه، فقد تتلمذ الشيخ خضر بن شلّال على كبار علماء عصره،

(١) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٥-٢٩٦.
(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٩٥.

الذين لا يدانيهم في الفضل والعلم أحد في زمانهم، منهم:

الأوّل: السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم قدس سره (ت١٢١٢هـ)، والشيخ المترجم من الصفوة الذين سافروا مع السيّد إلى سامرّاء للزيارة، وكان صاحب سرّ السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم، ومن خلّص أصحابه في سفره وحضره[١].

الثاني: الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء (ت١٢٢٧هـ)، وكان الشيخ المترجم من أجلّ تلامذة الشيخ الأكبر[٢]، ويروي وجادة وإجازة وسماعًا وقراءة عنه[٣].

الثالث: الشيخ موسى نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء، حضر لديه إلى أن تُوفّي سنة (١٢٤١هـ)[٤].

الرابع: وقيل إنّه حضر على الشيخ عليّ ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء قليلًا صاحب كتاب (الخيارات) (ت١٢٥٣هـ)، بل قيل إنّه مكتفٍ عن الحضور[٥].

والملاحظ أنّ الطهرانيّ في (الكرام البررة) لم يقل: إنّ الشيخ خضر بن شلّال حضر عند الشيخ موسى، والشيخ عليّ أبناء الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وإنّما

---

(١) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٤؛ حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٥.

(٢) يُنظر: السيّد حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١٤.

(٣) يُنظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٦٥.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ج٢، ص٢٦٥، حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٦.

(٥) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٦.

قال: «وعاصر ولديه الشيخ موسى والشيخ عليّ وغيرهم من العلماء الأعاظم، حتّى برز في الفضل بين معاصريه، وأصبح في طليعة فقهاء عصره الأكابر ومراجعه المتقدّمين»[1]، ومجرّد المعاصرة لا تقتضي التلمذة كما لا يخفى.

ولكن حكى الشيخ جعفر آل محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها) عن (الحصون المنيعة) للشيخ عليّ كاشف الغطاء أنّه قال: «حضر على جدّي الشيخ موسى، ومن بعده على أخيه الشيخ عليّ، وتخرج عليه الكثير من أهل الفضل»[2].

هذا أقصى ما وجدته من شيوخ الشيخ المترجم وأساتذته، وهؤلاء الأعلام من أساتذة الشيخ في مرحلة البحث الخارج، وهي المرحلة الأخيرة من الدراسة الحوزويّة، ولم يذكر المترجمون أساتذته في المراحل المتقدّمة من دراسته الحوزويّة.

إلّا أن يُقال: إنّ عادة المترجِم أن لا يذكر الشيوخ والأساتذة في بداية الحياة العلميّة للمترجَم، وإنّما يكتفي بذكر مشايخه في المرحلة الأخيرة، التي يكتفي بعدها عن الأخذ من الأساتذة.

مؤلّفاته

كان الشيخ خضر بن شلّال مؤلّفًا بارعًا، تناول العديد من العلوم الإسلاميّة بالبحث والتحقيق، لا سيّما في علمي الفقه والأُصول، وذكر أغلب مؤلّفاته في إجازته لتلميذه الشيخ عبد الكريم الكرمانيّ في جمادى الأوّل سنة (١٢٤٧هـ).

قال الطهرانيّ: «بينما نرى للشيخ خضر آثارًا جليلة تموج بمياه التحقيق

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص ٤٩٤.

(٢) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢ص٢٦٥.

والتدقيق، لا سيّما مؤلّفاته الفقهيّة التي سيأتي الكلام عليها فإنّها من الرصانة ودقّة البحث بمكانٍ»[1].

ومن مؤلّفاته التي ذكرها الأعلام:

١. **التحفة الغرويّة في شرح اللمعة الدمشقيّة**، وصفه العلّامة الطهرانيّ[2] بأنّه كبير في مجلّدات عدّة، ثلاثة منها توجد في مكتبة الشيخ عليّ كاشف الغطاء، منها المجلّد الثالث من كتاب الحجّ، حيث ذكر في آخره أنّه الجزء الثالث من كتاب الحجّ، والجزء العاشر من كتاب (التحفة الغرويّة)، وقد فرغ منه سنة (١٢٤٠هـ).

وفرغ من مجلّد الصلاة حدود سنة (١٢٣١هـ)؛ لأنّه ذكر في مباحث الخلل أنّه كتبه في حال وقوع الفتنة بين الزقرت والشمرت[3]، وتحديدًا في اليوم الثاني من شهر رمضان من سنة (١٢٣١هـ).

وفرغ من كتاب الميراث سنة (١٢٤٥هـ)، ويظهر من عبارته في آخر الميراث أنّه آخر كتاب من كتب (التحفة الغرويّة)، فقال فيه: «وهذا الكتاب الذي قد تمّ في ليلة الجمعة من العشر الأواخر من شعبان من خامس سنته من العشر الخامس من ثالثة ثاني الألفين من الهجرة»[4]، ويظهر أنّه ابتدأ به سنة

---

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٤.

(٢) يُنظر: آغا بزرك الطهرانيّ، الذريعة الى تصانيف الشيعة، دار الأضواء - بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ: ج٣، ص٤٥٨.

(٣) يُنظر: الزقرت: هو الصقر، ولعلّهم كانوا يتصيّدون بالصقور، أو يصطادونها، أو شبّهوا أنفسهم بالصقور، والشمرت: لعلّه مخفّف عن (الشمر دل)، وهو الفتى السريع، يُنظر: محمّد حرز الدين، تاريخ النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٧هـ، منشورات دليل ما: ج٢، ص٤٠١.

(٤) الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج٣، ص٤٥٩.

(١٢٣٠هـ)، وانتهى منه سنة (١٢٤٥هـ)، وهذا يعني أنّه قضى خمسة عشر عامًا لتأليف كتاب (التحفة الغرويّة)[١].

ولكن هل وُفّق الشيخ خضر رحمه الله لإتمام الكتب الفقهيّة أم لا؟ يقول الطهرانيّ: لا نعلم بذلك.

أمّا في (الكرام البررة) فقد وصف هذا الكتاب وصفًا دقيقًا، وصرّح بأنّه رآه، فقال: «له التحفة الغرويّة في شرح اللمعة الدمشقيّة كبير في عدّة مجلدات، رأيت معظمها في مكتبة الشيخ عليّ كاشف الغطاء، وأكثرها بخط الشيخ محسن بن الشيخ محمّد حسين شرارة العامليّ كتب بعضها سنة (١٢٣٤).

وهي قطعة من كتاب الطهارة في جزأين، وكتاب الصلاة بتمامه في ثلاثة أجزاء: الجزء الأوّل: ينتهي إلى باب الأذان والإقامة، فرغ منه ليلة الأحد الرابعة من جمادى الثانية سنة (١٢٢٩)، والجزء الثاني من الصلاة أكمل ما نقص منه في بعض الحوادث سنة (١٢٣٤)، والثالث ينتهي بصلاة الجماعة، وهو باب ما يجب الانفراد وما لا يجب، تمّ تأليفًا ليلة الثلاثاء الرابعة والعشرين من ربيع الأوّل سنة (١٢٣١).

وقال في آخر بحث الخلل ما لفظه: وعليك بالتأمّل في المقام وفيما مرّ من مباحث الخلل التي قد وقع كثير منها، والبنادق – من الفتنة الثانية الواقعة في البلد الأشرف مبدؤها ثاني شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣١، بين طغام الزقرت وفسقة الشمرت– فوق رؤوسنا كمخاطف النجوم، حتّى قُتل بها خلق كثير، لا نظير لهم في النسك والتقوى.

ومنها كتاب الزكاة وهو جزء واحد، يكون السادس من أجزاء الكتاب،

(١) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج٣، ص٤٥٩.

تـمّ قبـل الظهـر يـوم الأحـد غـرّة شـهر رمضـان المبـارك ١٢٣٣.

والمجلّد السابع في الصوم وما يلحق به.

وكتـاب الخمس، تـمّ تأليفًـا قبيـل الصبـح مـن ليلـة الجمعـة التاسـعة عشـرة مـن ذي الحجّـة الحـرام في سـنة ١٢٣٢هـ، وهـذه الأجـزاء كلّهـا بخـطّ العامليّ في مكتبـة الشـيخ عليّ، وفيهـا أيضًـا بخـطّ المترجـم لـه وهـو وردي.

المجلّـد الثالـث مـن كتـاب الحـجّ ذكـر في آخـره أنّـه الجـزء الثالـث مـن كتـاب الحـجّ، وأنّـه الجـزء العاشـر مـن كتـاب التحفـة، وقـد فـرغ منـه سـنة (١٢٤٠ هـ)، ذكـر في آخـره قصّـة الزقـرت والشـمرت في تلـك السـنة، وحكايـة الرؤيـا والقلـم، ورأيـت قطعـة مـن آخـر كتـاب الميراث مـن التحفـة في كتـب الفقيـه الحاجّ محمّـد حسـن كبّـة، قـال في آخرهـا: قـد تـمّ في ليلـة الجمعـة مـن العشـر الأواخـر من شـعبان مـن خامـس سـنة مـن العشـر الخامـس مـن ثالثـة ثـاني الألـفين مـن الهجـرة، يعنـي سـنة (١٢٤٥ هـ)، فظهـر أنّ شـروعه في التأليـف كان (١٢٢٩ هـ)، وإلى انقضـاء ستّ عشـرة سـنة خرجـت منـه عـدّة مجلّـدات إلى شـرح الميراث سـنة (١٢٤٥ هـ)، وعـاش بعـد ذلـك عشـر سـنين، لم نعلـم أنّـه وُفّـق لإتمـام البقيّـة أم لا»[1].

والملاحـظ أنّ هنـاك فرقًـا بين مـا ذكـره الطهـرانيّ في (الذريعـة) ومـا ذكـره في (الكرام البررة)، فقال في (الذريعة): إنّ شـروعه في (الشـرح) بدأ سـنة (١٢٣٠هـ)، بينما في (الكـرام البررة) فقـال بـدأ في (الشـرح) سـنة (١٢٢٩هـ).

ولعـلّ الصحيـح أنّـه بـدأ في كتـاب (التحفـة الغرويّـة) قبـل سـنة (١٢٢٩هـ)؛ لأنّـه فـرغ مـن الجـزء الأوّل مـن كتـاب الـصلاة في سـنة (١٢٢٩هـ)، ومـن المستبعد

---

(١) الطهـرانيّ، المصـدر السـابق، الكـرام البررة: ج١١، ص٤٦٧-٤٩٨؛ جعفـر الشـيخ باقـر محبوبـة، المصـدر السـابق، مـاضي النجـف وحاضرهـا: ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.

أنّه بدأ بكتاب الطهارة بعد إتمامه كتاب الصلاة، بل الظاهر أنّه بدأ بكتاب الطهارة الذي هو عبارة عن مجلّدين قبل الشروع بكتاب الصلاة، وهذا هو النسق الطبيعيّ في التأليف، لا سيّما أنّ هذا الكتاب عبارة عن شرح لكتاب (اللمعة الدمشقيّة)، فمن المستبعد جدًّا أن يبدأ الشيخ بكتاب الصلاة.

ولـمّا كان الفراغ من الجزء الأوّل من كتاب الصلاة سنة (١٢٢٩هـ)، فالراجح أنّه بدأ بتأليف الشرح قبل هذا التاريخ بمدّة طويلة، استوعبت الجزء الأوّل والثاني من كتاب الطهارة، والجزء الأوّل من كتاب الصلاة، والله تعالى أعلم.

وتوجد نسخة مخطوطة في مكتبة الشيخ صدر الإسلام محمّد أمين الإماميّ الخوئيّ رحمه الله (ت١٣٦٧هـ)[1].

٢. **جنّة الخلد**، وهي رسالته العمليّة، ألّفها في جزأين: الأوّل: خاصّ بأُصول الدين، والثاني: خاصّ بفروع الدين، وبدأ من كتاب الطهارة وانتهى بانتهاء كتاب الصلاة.

قال العلّامة الطهرانيّ: «نسخة منه في الخزانة الرضويّة، عليها خطّ المؤلّف وخاتمه كما في فهرس الخزانة، ونسخة أُخرى على ظهرها خطّ المؤلّف وخاتمه ونصّ الخاتم «خضر آل شلّال»، أهداها المؤلّف للعالم الفاضل الملّا محمّد الجاوجانيّ، وتاريخ كتابتها (١٠ربيع الأوّل ١٢٤٤هـ) أوّله: «الحمد لله خالق الليل والنهار»، وفرغ منه في جمادى الثاني ١٢٤٣ هـ، وهذه النسخة رأيتها في سامرّاء بمكتبة الشيخ الميرزا محمّد الطهرانيّ»[2].

---

(١) يُنظر: محمّد أمين الخوئيّ، المصدر السابق، مرآة الشرق: ج١، ص٧٠١.

(٢) الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج٥، ص١٥٨.

أقول: وجدت نسخة من هذا الكتاب في مكتبة العلّامة الأمينيّ ناقصة الأوّل والآخر، عدد صفحاتها (١٨٨)، رقم القرص (٦٨١)، وحالة الخطّ لا بأس بها.

٣. **عصام الدين**، لم نقف على تفاصيل الكتاب، سوى أنّه قدس سره ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ[١].

٤. **مصباح الحجيج**، ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ، ولم نقف على تفاصيل هذا الكتاب أيضًا[٢].

٥. **مصباح الرشاد**، قرأه تلميذه الشيخ عبد الكريم الكرمانيّ، كما ذكر ذلك في إجازته له، و لم نقف أيضًا على تفاصيل الكتاب[٣].

٦. **مصباح المتمتّع**، في مناسك حجّ التمتّع، ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ، ولم نقف أيضًا على تفاصيله[٤].

٧. **كتاب المعجز**، يقول الطهرانيّ: «ذكره في آخر شرحه على كتاب الميراث من الروضة البهيّة، وعدّ من تصانيفه في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ في (١٢٤٧) كتابه باسم: معجز الإماميّة»[٥]، ولعلّه هو (المعجز)، فهو كتاب واحد لا كتابان، كما أشار إلى ذلك الطهرانيّ[٦].

٨. **هداية المسترشدين**، ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ[٧].

---

(١) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج١٥، ٢٧١.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ج٢١، ص١٠٥.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ج٢١، ص١٠٧.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه: ج٢١، ص١١٨.

(٥) يُنظر: المصدر نفسه: ج٢١، ص٢١٤.

(٦) يُنظر: الطهراني، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٩.

(٧) يُنظر: الطهراني، المصدر السابق، الذريعة: ج٢٥، ص١٩٢.

٩. **نجم الهداية**، وهو شرح لكتابه السابق هداية المسترشدين[١]، ذكره في إجازته للشيخ عبد الكريم الكرمانيّ[٢].

١٠. **أبواب الجنان وبشائر الرضوان**، ويُعرف أيضًا بـ «مزار الشيخ خضر» في الزيارات، وأعمال السنة، وسائر الأدعية، والأحراز، وقد صف الشيخ خضر هذا الكتاب -فيما نقله الطهرانيّ عنه من التحفة الغرويّة- قائلًا: «إنّ أبواب الجنان هذا كتاب لم يسمح الدهر بمثله، وذكر أنّه كتبه بالقلم الذي كتب به جملة من مجلّدات شرحه المذكور، وهو القلم الذي أعطاه إيّاه أمير المؤمنين عليه السلام في المنام فوجده بيده بعد الانتباه، وذلك من كراماته قدس سره»[٣]، فرغ منه (١٢٤٢).

قال العلّامة الطهرانيّ في (الذريعة): «أوّله: الحمد لله اللطيف بعباده حيث أمرهم بعبادته، ذكر فيه أنّه لمّا تمّم تحرير المسائل الشرعيّة إلى آخر الحجّ، فكان المناسب بيان زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسائر الأئمّة وبعض الأدعية والأعمال، فكتب هذا الكتاب، مرتّبًا على مقدّمة في فضل مكّة وسائر المشاهد، وأبواب ثمان؛ تشبيها الكتاب بالجنان، وترغيبًا في اتّخاذه جنّة عن النيران، وكلّ باب مرتّب على عدّة فصول، ذكر فهرسها في أوّله وسابع أبوابه في أعمال الشهور، وثامنها في أدعية اليوم والليلة من التعقيبات وغيرها وبعض الأحراز والأعواذ، وأعمال النيروز وغيرها ممّا لا يختصّ بوقت»[٤].

---

(١) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٩، جعفر السبحانيّ، موسوعة طبقات الفقهاء، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١، ١٤١٨هـ: ج١٣، ص٢٥٤.

(٢) يُنظر: الطهراني، المصدر السابق، الذريعة: ج٢٤، ص٧١-٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ج٢٠، ص٣١٨-٣١٩.

أقول: وجدت ترجمة لهذا الكتاب إلى الفارسيّة، بعنوان: «**ولايت نامه**» للشيخ عبد الحميد الكاشانيّ، طُبع سنة (١٣٩١ش)، في قمّ المقدّسة[١].

ولعلّ هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي طُبع من آثار الشيخ خضر بن شلّال وكتبه، فقد طُبع بتحقيق الشيخ قيس العطّار سنة (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م).

١١. **مختصر شرح اللمعة الدمشقيّة**، وهذا الكتاب لم يذكره الطهرانيّ في (الذريعة)، وإنّما ذكره الشيخ محمّد حرز الدين النجفيّ في (معارف الرجال)، والشيخ السبحانيّ في (موسوعة طبقات الفقهاء)[٢].

قال الشيخ محمّد حرز الدين: «وله مختصر شرح اللمعة من أوّل كتاب الطهارة إلى تمام الصلاة إلى قول الشهيد: وتكره إمامة الأبرص والأجذم والأعمى، وجاء في آخره قوله في الشرح: أنّه يجب الانفراد عن كلّ إمام لا يمكن الاستمرار معه على المأموميّة؛ لفساد صلاته، ثمّ قال رحمه الله: وقد ذكرنا مفصّلًا فتوى ودليلًا في الشرح المبارك، وعقّبه بقوله: والتمسني طائفة من علماء العرب والعجم وصلحائهم بعد أن كمل حجّه على اختصاره، وقد وقع الفراغ منه يوم الخميس في العشر الأواسط من شهر ربيع الثاني من ثالث سنة من العشر الخامس من ثالثة ثاني الألفين من الهجرة، أي: سنة (١٢٤٣هـ)[٣].

١٢. **كتاب سحر الإماميّة**، ذكره الشيخ محبوبة في (ماضي النجف وحاضرها) وغيره[٤].

---

(١) ينظر: الوثيقة رقم (٣).

(٢) يُنظر: السبحانيّ، المصدر السابق، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١٣، ص٢٥٤.

(٣) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٧.

(٤) يُنظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٦٦، حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٧.

١٣. **رسالة لعمل المقلّدين**، والظاهر أنّها غير (جنّة الخلد)، أشار إلى هذه الرسالة السيّد حسن الصدر في (التكملة)[١]، والطهرانيّ في (الذريعة)[٢]، ومحبوبة في (ماضي النجف وحاضرها)[٣].

١٤. **كتاب الأدعية**، وهو غير (أبواب الجنان) المتقدّم، أشار إليه الطهرانيّ في (الذريعة)، و(الكرام البررة)، فقال: «كتاب الأدعية للشيخ خضر بن شلّال النجفيّ، المتوفّى سنة (١٢٥٥) مؤلّف (أبواب الجنان)، يوجد في الخزانة الرضويّة»[٤]، وقال السيّد بحر العلوم: «يوجد في مكتبة الإمام الرضا عليه السلام»[٥].

تلامذته

لم يذكر المترجمون تلامذة الشيخ خضر بن شلّال في ضمن ترجمته، إلّا الشيخ عبد الكريم الكرمانيّ رحمه الله، ولعلّ ذلك لأنّ الشيخ المترجم أعطاه إجازة عدّد فيها بعضًا من كتبه، ولكنّ الأعلام ذكروا أنّ للشيخ المترجم الكثير من التلاميذ الأفاضل المحقّقين[٦] وعند البحث والتحقيق وجدت

---

(١) يُنظر: حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١٤.

(٢) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج١١، ص٢١٥.

(٣) يُنظر: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٦٦.

(٤) الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج١، ص٣٩٠، الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ٤٩٧.

(٥) محمّد صادق بحر العلوم، المصدر السابق، وفيات الأعلام: ج١، ص٣٠٣.

(٦) يُنظر: الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٩، جعفر الشيخ آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٦٥، حرز الدين، المصدر=

بعض الأعلام ممّن تتلمذ على يد الشيخ خضر بن شلّال، وكتب تقريرات بحثه الأُصوليّ أو الفقهيّ، منهم:

الأوّل: الشيخ عبد الكريم الكرمانيّ، وأجازه أيضًا أن يروي عنه بتاريخ (١٢٤٧هـ)[١]، قال الشيخ الطهرانيّ في (الذريعة): «إجازة الشيخ خضر بن شلّال بن حطّاب آل خدّام من بني شيبة من باهلة العفكاويّ النجفيّ المتوفّى سنة (١٢٥٥ هـ) للمولى عبد الكريم الكرمانيّ متوسّطة، تاريخها جمادى الأُولى سنة (١٢٤٧) يروي فيها عن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وعدّ فيها جملة من تصانيفه، (التحفة الغرويّة في شرح اللمعة الدمشقيّة)، (جنّة الخلد)، (معجز الإماميّة)، (أبواب الجنان)، (مصباح الرشاد)، (نجم الهداية)، (هداية المسترشدين)، (مصباح الحجيج)، (مصباح المتمتّع)، (عصام الدين)، وغير ذلك»[٢].

أمّا الشيخ عبد الكريم الكرمانيّ، فهو عبد الكريم بن محمّد رحيم الكرمانيّ، تتلمذ على يد الشيخ الأنصاريّ، والشيخ خضر بن شلّال، له: (منشآت)، قال الطهرانيّ في (الذريعة): «فيها ما كتبه إلى فتح عليّ شاه عن لسان بعض علماء النجف في (١٢٣٦هـ)، ومنها تعزية فتح عليّ شاه بموت ولده الشاهزاده محمّد عليّ ميرزا عن لسان السيّد محمّد رضا ابن السيّد مهديّ بحر العلوم الطباطبائيّ (١١٣٧هـ)، ومنها في تهنئة أخيه محمّد هاشم»[٣].

=السابق، معارف الرجال: ج١، ٢٩٦، جعفر السبحانيّ، المصدر السابق، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١٣، ص٢٥٤.

(١) يُنظر: حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٦.

(٢) الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج١، ص١٩١.

(٣) الطهرانيّ، المصدر السابق، الذريعة: ج٢٣، ص٣٢.

الثاني: السيّد محمّد بن الحسين بن محمّد رضا التنكابنيّ.

ذكر السيّد أحمد الحسينيّ في (تراجم الرجال)، أنّه أقام مدّة في العراق، وقرأ على علماء النجف الأشرف وكربلاء، وكتب إجازة للسيّد إسماعيل بن كاظم التنكابنيّ في سنة (١٢٩٣هـ)، وعدّ من شيوخه فيها: الشيخ محمّد حسن النجفيّ صاحب (الجواهر)، والسيّد محمّد الرضويّ الشهير بالقصير، والشيخ خضر شلّال، والشيخ راضي النجفيّ، والحاج ملّا نور عليّ التنكابنيّ، والمولى عليّ البروجرديّ، والميرزا محمّد عليّ الشهرستانيّ الحائريّ[١].

الثالث: السيّد عليّ ابن السيّد إسماعيل بن محمّد بن عليّ بن أحمد المقدّس الموسويّ الغريفيّ البحرانيّ ثمّ النجفيّ، أحد مشاهير علماء وأُدباء عصره، وُلد في البحرين، ونشأ بها، وأخذ عن محدّثيها، وهاجر إلى النجف الأشرف[٢].

تُوفّي سنة (١٢٤٦هـ) بالطاعون الكبير، وتولّى تجهيزه السيّد باقر القزوينيّ، ودُفن في الصحن الشريف في أوّل حجرة على يمين الداخل من باب الطوسيّ[٣].

وذكر السيّد الأمين في (أعيان الشيعة) أنّه تتلمذ على يد السيّد بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ خضر بن شلّال[٤].

ولكنّ الشيخ عليّ الخاقانيّ في (شعراء الغريّ) لم يذكر أنّ السيّد تتلمذ على يد الشيخ خضر بن شلّال، وإنّما قال: كانت له صداقة مع الشيخ خضر بن شلّال[٥].

---

(١) يُنظر: أحمد الحسينيّ، تراجم الرجال، نشر: مكتبة آية الله المرعشيّ، ١٤١٤هـ، ج١، ص٥٠٢.

(٢) يُنظر: السبحانيّ، المصدر السابق، موسوعة طبقات الفقهاء: ج١٣، ص٣٨٩.

(٣) يُنظر: محسن الأمين، المصدر السابق، أعيان الشيعة: ج٨، ص١٦٧.

(٤) يُنظر: المصدر نفسه.

(٥) يُنظر: عليّ الخاقانيّ، شعراء الغريّ، نشر: مكتبة آية الله المرعشيّ، ١٤٠٨هـ، ج٦، ص٢٥٠.

الرابع: الشيخ حسن ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ محمّد المحسنيّ الإحسائيّ الفلاحيّ (١٢١٣ - ١٢٧٣هـ)، قال الشيخ حرز الدين في (معارف الرجال): «وكان بحر علم تلاطمت أمواجه، وبدر أشرقت به مرابع العلوم، وعمّت تحقيقاته فهدى وأفاد، جرى تيّار معارفه ففاض فعل الروابي والهضاب، وله تقوى قصرت عن قطع مداها كثير من العباد، وعجزت عن نيل أقلّ رتبه الزهّاد، تتلمذ في النجف على الشيخ صاحب الجواهر، والشيخ محسن الأعسم، والشيخ خضر شلّال»[١].

الخامس: السيّد محمّد ابن السيّد محمّد رفيع ابن السيّد مرتضى ابن السيّد نور الدين ابن المحدّث الجزائريّ الموسويّ التستريّ، العالم الفاضل الكامل، ذكر الطهرانيّ أنّ له تقريرات الشيخ خضر بن شلّال النجفيّ، ثمّ قال: «وكأنّه قرأ على هؤلاء الأعلام، وكتب عنهم»[٢].

السادس: الشيخ محمّد الشروقيّ.

قال الطهرانيّ: «الشيخ محمّد الشروقيّ، أُستاذ السيّد محمّد بن محمّد ربيع بن مرتضى بن نور الدين الجزائريّ التستريّ، الذي كتب بخطّه بعض تقريرات أُستاذه هذا داعيًا له (بسلّمه الله)، في مجموعة تاريخ كتابتها في سنة (١٢٤٥هـ)، وكتب جملة من تقريرات مشايخه الآخرين، منهم شريف العلماء، والشيخ خضر شلّال»[٣].

هذا ما وجدته بعد البحث والتدقيق في تراجم الأعلام من تلامذة الشيخ خضر بن شلّال، ولعلّك تجد بعضًا آخر، لا سيّما أنّ الشيخ خضر كان معروفًا

---

(١) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٣٤٣.

(٢) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١٢، ص٣٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ج١٢، ص٣٣٧.

في الأوساط العلميّة بكثرة تحقيقاته وتدقيقاته، فضلًا عن علميّته في مجالات عدّة، لاسيّما في الفقه والأُصول، فيبدو أنّ تلامذة الشيخ المترجم أكثر بكثير من الذي وجدته في كتب التراجم.

أقوال العلماء فيه

عُرف الشيخ خضر بالتقوى والزهد والعلم والورع، بل وُصف بأنّه أزهد وأورع أهل زمانه. قال الشيخ عليّ كاشف الغطاء في (الحصون المنيعة): «كان عالمًا فاضلًا فقيهًا أصوليًّا ثقة عدلا صادقًا صافي القلب خيّرا ديّنًا ورعًا زاهدًا عابدًا، هاجر من مسقط رأسه عفك، فجدّ في تحصيل العلم، حتّى أكمل العلوم العربيّة، وحضر الدروس العالية على علماء عصره»[1].

قال الميرزا النوريّ الطبرسيّ: «الشيخ المحقّق الجليل، والعالم المدقّق النبيل، صاحب الكرامات الباهرة المعروفة...»[2].

وقال: «هذا الشيخ من أعيان هذه الطائفة وعلمائها الربّانيّين، الذين يُضرب بهم المثل في الزهد والتقوى واستجابة الدعاء»[3].

قال السيّد حسن الصدر في (التكملة): «هو الشيخ المحقّق الجليل، والعلم المدقّق النبيل، صاحب الكرامات الباهرة، كان من أعيان هذه الطائفة، وعلمائها الربّانيّين، الذين يضرب بهم المثل في الزهد والتقوى واستجابة الدعاء»[4].

---

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٤-٤٩٥.

(٢) الميرزا النوريّ الطبرسيّ، دار السلام، ط٣، انتشارات المعارف الإسلاميّة قمّ: ج٢، ص١٠١.

(٣) النوريّ الطبرسيّ، المصدر السابق، دار السلام: ج٢، ص١٠٤.

(٤) حسن الصدر، المصدر السابق، تكملة أمل الآمل: ج٤، ص١١.

قال الطهرانيّ: «كان المترجم له من أعاظم علماء الشيعة في القرن الثالث عشر، و مشاهيرهم بالبراعة في فقه آل محمّد (عليه وعليهم السلام)، وكان من أتقى أهل عصره وأبرزهم في الزهد والصلاح وسلامة الباطن، و يُقال: إنّه كان على جانب عظيم من البساطة يتعدّى المألوف»(١).

بل وصفه الطهرانيّ في (الكرام البررة) بأنّه: «كان من الأخيار الأبرار، وأنّه أزهد أهل عصره وأعبدهم، وأورعهم وأتقاهم، وأنّه كان مثلًا أعلى في التديّن والانقطاع إلى الله ﷻ، حتّى أنّه يُضرب به المثل في ذلك»(٢).

قال السيّد محسن الأمين: «كان عالمًا فقيها زاهدًا ورعًا، تُنسب إليه كرامات من أجلّ تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء»(٣).

قال جعفر محبوبة: «كان عالمًا عاملًا فقيهًا أصوليًّا ثقة عدلًا صادقًا صافي القلب خيّرًا ديّنًا ورعًا زاهدًا عابدًا، هاجر من مسقط رأسه عفك فجدّ في تحصيل العلم، حتّى أكمل لعلوم العربيّة، وحضر الدروس العالية على علماء عصره.... وكيف كان، فهو من أهل التحقيق في العلم والتدقيق في الفنّ، مبرّز في عصره، معروف بالزهد والعبادة والتقوى، وكان يألف مسجد الكوفة، كثير الأُنس به، له انقطاع إلى الله وحسن السلوك»(٤).

قال الشيخ عبّاس القمّيّ: «خضر بن شلّال النجفيّ: عالم فاضل جليل، وفقيه نبيه نبيل، ومحدّث ماهر، صاحب الكرامات الباهرة»(٥).

---

(١) الطهرانيّ، المصدر السابق، الكرام البررة: ج١١، ص٤٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ج١١، ص٤٩٥.

(٣) محسن الأمين، المصدر السابق، أعيان الشيعة: ج٦، ص٣٢١-٣٢٢.

(٤) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، المصدر السابق، ماضي النجف وحاضرها: ج٢، ص٢٩٤.

(٥) عبّاس القمّيّ، الفوائد الرضويّة، تحقيق: ناصر باقري، قمّ مؤسّسة بوستان كتاب: ج١، ص٢٨٩.

قال الشيخ محمّد حرز الدين: «العلّامة العابد، والتقيّ الزاهد الورع، وممّن يُستسقى به الغمام إذا منعت السماء قطرها،، وحريّ بأن يُوسم بمعجز الشيعة وحافظ الشريعة، وروى الكثير عنه كرامات وصفات عالية»[1].

قال الشيخ محمّد هادي الأمينيّ: «كان عالما فقيها أصوليًّا ثقة عدلا صادقا خيّرا ديّنا زاهدا من أعيان هذه الطائفة وعلمائها الربّانيّين ذلك»[2].

آراؤه وفتاواه رحمه الله

قلنا سابقًا إنّه لم يُطبع من كتب الشيخ خضر بن شلّال إلّا كتاب (أبواب الجنان) في الأدعية والأحراز، وسائر كتبه الأُخرى ما تزال مخطوطة في المكتبات تنتظر مَن يخرجها من ظلمة رفوف المكتبات إلى نور التحقيق والطباعة[3].

ومن أجل ذلك لم نظفر بآراء الشيخ المترجم الفقهيّة أو الأُصوليّة، ولكن ما لا يُدرك كلّه لا يترك كلّه، فعند المطالعة السريعة لكتاب (أبواب الجنان) المطبوع وجدت بعض الفتاوى التي امتاز بها الشيخ المترجم، فعلى الرغم من أنّ الكتاب كتاب دعاء وزيارة وأحراز، ولكنّ هذا لم يمنع الشيخ خضر رحمه الله من ذكر بعض آرائه، لا سيّما فيما يخصّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وسنذكر بعضها.

منها: القول بوجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولو في العمر مرّة، متّبعًا

---

(١) حرز الدين، المصدر السابق، معارف الرجال: ج١، ص٢٩٥.

(٢) محمّد هادي الأمينيّ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، الطبعة الأُولى، النجف، مطبعة الآداب ١٣٨٤هـ،،١٩٦٤م: ص٢٥٤.

(٣) تجدر الإشارة إلى أنّ مركز تراث الجنوب التابع للعتبة العبّاسيّة المقدّسة بدأ بتحقيق كتابه (التحفة الغرويّة في شرح اللمعة الدمشقيّة).

في ذلك العلّامة المجلسيّ ووالده، فقال: «فالقول بالوجوب على من استطاع إليه سبيلًا في العمر مرّة -كما يظهر من كثير منهم المجلسيّ ووالده- ممّا لا محيص عنه»[1].

ومنها: القول بوجوب الاستنابة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام على مَن لا يتمكّن من زيارته، فقال: «إلى غير ذلك ممّا يُستفاد وجوب الاستنابة على من لم يتمكّن من زيارته في العمر مرّة...»[2].

ومنها: القول باستحباب اللطم والجزع على الإمام الحسين عليه السلام حتّى لو علم بأنّه يموت من ساعته، قال ما لفظه: «الذي قد يُستفاد من النصوص -التي منها ما دلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس- جواز اللطم والجزع لمصابه بأيّ نحو كان، ولو علم أنّه يموت من حينهنّ فضلًا عمّا لا يخشى منه الضرر على النفس، التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذله في مصابه وزيارته»[3].

---

(١) خضر بن شلّال، أبواب الجنان، تحقيق وتعليق: الشيخ قيس بهجت العطّار، بإشراف مركز الزهراء الإسلاميّ، ط١، ١٤٣٠هـ: ص٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٦١.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٩١-٢٩٢.

الخاتمة

اتّضح من خلال هذا البحث أمور عدّة:

١. تبيّن في البحث أنّ ولادة الشيخ خضر أسبق من سنة (١١٨٠هـ) التي ذكرها المترجمون له.

٢. اتّضح من البحث أنّ للشيخ خضر مكانة عالية في نفوس الناس، وتسليم الأعلام المعاصرين له، كما حدث ذلك في تحديده للمجتهد الأعلم في زمانه.

٣. اتّضح أيضًا أنّ الشيخ المترجم له كرامات عديدة، لا سيّما المشهورة منها وهي صلاة الاستسقاء.

٤. لم تقتصر حياة الشيخ على طلب العلم، بل كان مجاهدًا مدافعًا عن حرم أمير المؤمنين عليه السلام إبّان الغزو الوهّابيّ.

٥. رفد الحوزة العلميّة والمكتبة الإسلاميّة بمؤلّفاته الغنيّة في الفقه، والأُصول، والكلام، والزيارة، والدعاء ونحوها، ولكن للأسف لم يُطبع منها سوى كتاب (أبواب الجنان).

٦. الملاحظ أنّ الشيخ خضر بن شلّال كانت له صداقات عديدة مع أعلام عصره، فقد كان بيته محطّ رحال أعلام كربلاء إذا قدموا إلى النجف الأشرف كصاحب (الضوابط) (ت١٢٦٢هـ)، و(الفصول) (ت١٢٥٥هـ)، وكان إذا زار كربلاء نزل في بيوتهم.

وثيقة رقم (١)

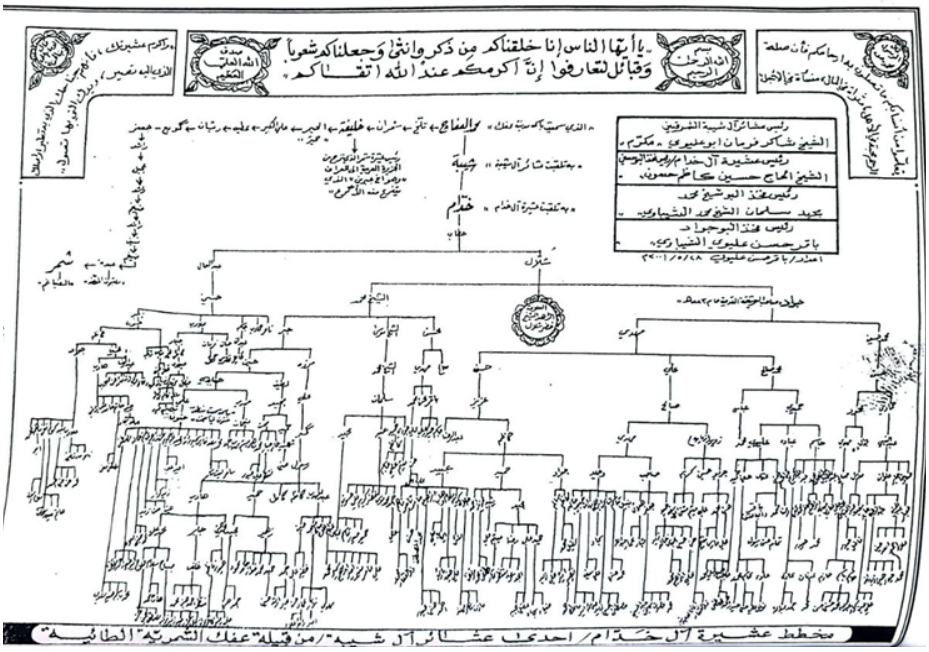

(مخطّط عشيرة آل خدّام، إحدى عشائر آل شيبة من قبيلة عفك الشمّريّة الطائيّة)

مصدر الوثيقة: كتاب العلّامة الزاهد الشيخ خضر شلّال بين مرقده السابق في محلّة العمارة، ومرقده الحاليّ في وادي السلام المقدّس.

تأليف: الباحث: باقر حسن عليوي الشيبانيّ.

نسخه منه في مكتبة الإمام الحكيم رحمه الله العامّة في النجف الأشرف.

وثيقة رقم (٢)

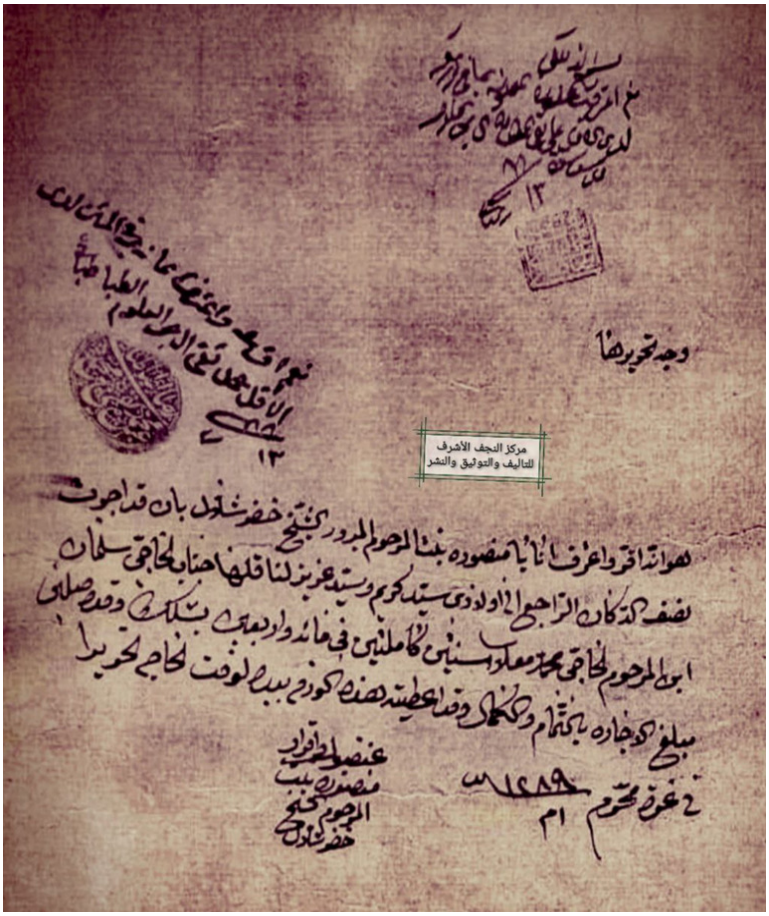

وثيقة إيجار من منصورة بنت الشيخ خضر بن شلّال

مصدر الوثيقة: مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق.

وثيقة رقم (٣)

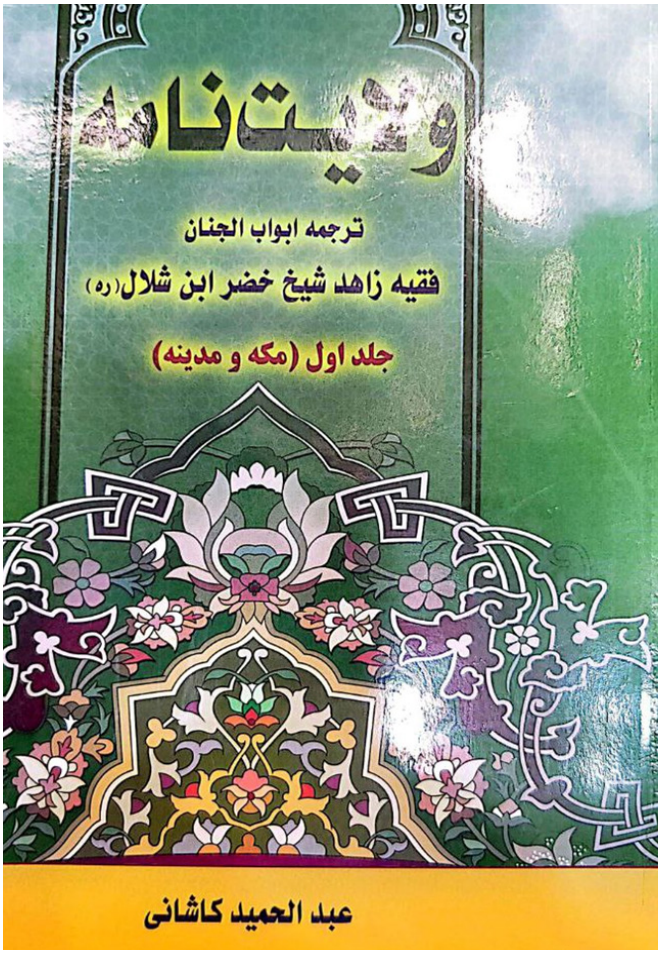

(غلاف كتاب (**أبواب الجنان وبشائر الرضوان**) المترجم إلى الفارسيّة)

مصدر الوثيقة: مكتبة الإمام الحكيم قدس سره العامّة في النجف الأشرف

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

١. آغا بزرك الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: دار الأضواء بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢. ----------، **طبقات أعلام الشيعة**، دار إحياء التراث العربيّ لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٣. السيّد أحمد الحسينيّ، **تراجم الرجال**: مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشيّ، قمّ المقدّسة، ١٤١٤هـ.

٤. باقر حسن عليوي الشيبانيّ، **العلّامة الزاهد الشيخ خضر شلّال**: نسخة مخطوطة موجودة في مكتبة الإمام الحكيم رحمه الله.

٥. جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، **ماضي النجف وحاضرها**، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٦. الشيخ جعفر السبحانيّ دام ظله، **موسوعة طبقات الفقهاء**، قمّ، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٧. جمال الدين ابن منظور الإفريقيّ، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأُولى، ١٤٠٤، ١٩٨٤م.

٨. الإمام السيّد حسن الصدر (١٢٧٢-١٣٥٤هـ)، **تكملة أمل الآمل**، تحقيق

د. حسين عليّ محفوظ، عبد الكريم الدبّاغ، عدنان الدبّاغ، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، لبنان.

٩. الميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ، (ت ١٣٢٠هـ)، **دار السلام فيما يتعلّق بالرؤيا والمنام**، دار البلاغة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

١٠. الشيخ خضر بن شلّال العفكاويّ المتوفّى (١٢٥٥هـ)، **أبواب الجنان وبشائر الرضوان**، تحقيق وتعليق: الشيخ قيس بهجت العطّار، بإشراف مركز الزهراء الإسلاميّ، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١١. الشريف الرضيّ، **نهج البلاغة** : دار الذخائر، قمّ، إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.

١٢. الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ (ت ٣٨١هـ)، **من لا يحضره الفقيه**: صحّحه وعلّق عليه: عليّ أكبر غفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، الطبعة الثانية.

١٣. عبّاس الغزّاوي المحامي، **موسوعة عشائر العراق**، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

١٤. الشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٦هـ)، **الفوائد الرضويّة في أحوال مذهب الجعفريّة**، الناشر: بوستان كتاب، قمّ المقدّسة، الطبعة الأُولى.

١٥. الشيخ عبد الله الماماقانيّ (ت١٣٥١هـ)، **مخزن المعاني في ترجمة المحقّق الماماقانيّ**: مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ.

١٦. الشيخ عليّ الخاقانيّ، **شعراء الغريّ**، نشر مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشيّ، مطبعة بهمن، قمّ، ١٤٠٨هـ.

١٧. عليّ محمّد عليّ دخيل، **نجفيّات**، دار المرتضى بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٨. أبو الفضل البرقعيّ، **سوانح الأيّام**: ترجمة: د. سعد رستم، الناشر: دار العقيدة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

١٩. السيّد محسن الأمين العامليّ (١٢٨٤- ١٣٧١هـ)، **أعيان الشيعة**، تحقيق وتخريج: السيّد حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢٠. محمّد أمين الإماميّ الخوئيّ، **مرآة الشرق**، الناشر: مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشيّ، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧.

٢١. الشيخ محمّد حرز الدين، **تاريخ النجف الأشرف**، منشورات دليل ما، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ.

٢٢. ----------، **مراقد المعارف**، دار سعيد بن جبير.

٢٣. ----------، **معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء**، علّق عليه حفيده محمّد حسين حرز الدين، مطبعة الولاية، قمّ المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٥هـ.

٢٤. الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م)، **العبقات العنبريّة في الطبقات الجعفريّة**، تحقيق الدكتور جودت القزوينيّ، بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٥. محمّد عليّ جعفر التميميّ، **مشهد الإمام أو مدينة النجف**، انتشارات المكتبة الحيدريّة، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ، المطبعة: شريعت.

٢٦. الشيخ محمّد هادي الأمينيّ، **معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال**

ألف عام، النجف، مطبعة الآداب، الطبعة الأُولى، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٢٧. الشّيخ محمّد بن يعقوب الكلينّي (ت٣٢٩هـ)، **الكافي**، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاريّ، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ.ش.